قِصَصٌ وَ حكاياتٌ عالَميَّةٌ

© Editions Philippe AUZOU, Paris (France),
Mon Plus beau livre de contes, edition spéciale, 2009

إدارة و تصميم : ألان دا كونا

الرسومات : صوفي بوجار/إيف بوجار/كورين قوسي/ جون لوي هونريو/ساندرين هيرنشميت/أني لوبولوتيك/ جون نويل روشو

ترجمة : زينب قبي

مراجعة : سليمان بورنان

© منشورات الشهاب 2011 - 2020.
جميع الحقوق باللغة العربية محفوظة.
يمنع طبع هذا الكتاب جزئيا أو بكامله بأية وسيلة كانت دون ترخيص مكتوب من الناشر.

10، نهج إبراهيم غرافة، باب الواد، الجزائر
البريد الإلكتروني : chihab@ chihab. com
الموقع الإلكتروني : www. chihab. com

ردمك : 978 _ 9961 _ 63 _ 844 _ 6
الإيداع القانوني : **جانفي 2020**

قِصَصٌ وَ حِكاياتٌ عالَميَّةٌ

CHIHAB Kids

عَلاءُ الدِّينِ وَ الْمِصْبَاحُ الْعَجِيبُ

(مقتبس من حكايات ألف ليلة و ليلة)

كَانَ يَا مَا كَانَ فِي بِلَادِ الشَّرْقِ، أَرْمَلَةٌ لَهَا وَلَدٌ يُدْعَى عَلَاءَ الدِّينِ. كَانَا فَقِيرَيْنِ جِدًّا. وَ بَيْنَمَا كَانَتِ الْأُمُّ تُجْهِدُ نَفْسَهَا فِي الْعَمَلِ كَانَ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ يَقْضِي أَيَّامَهُ كَكُلِّ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ فِي سِنِّهِ يَتَسَكَّعُ فِي الضَّوَاحِي. زَوَالَ ذَاتِ يَوْمٍ، بَيْنَمَا كَانَ يَلْعَبُ فِي الْقَرْيَةِ مَعَ أَقْرَانِهِ، اِقْتَرَبَ مِنْهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ عَجِيبٌ. كَانَ الرَّجُلُ أَنِيقًا وَلَهُ لَفَّةٌ عَلَى رَأْسِهِ مُزَيَّنَةٌ بِحَجَرِ الْيَاقُوتِ. وَ لَهُ لِحْيَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، وَ يُشِعُّ مِنْ عَيْنَيْهِ لَمَعَانٌ غَرِيبٌ : « أَلَسْتَ عَلَاءَ الدِّينِ ابْنَ مُصْطَفَى الْخَيَّاطِ ؟

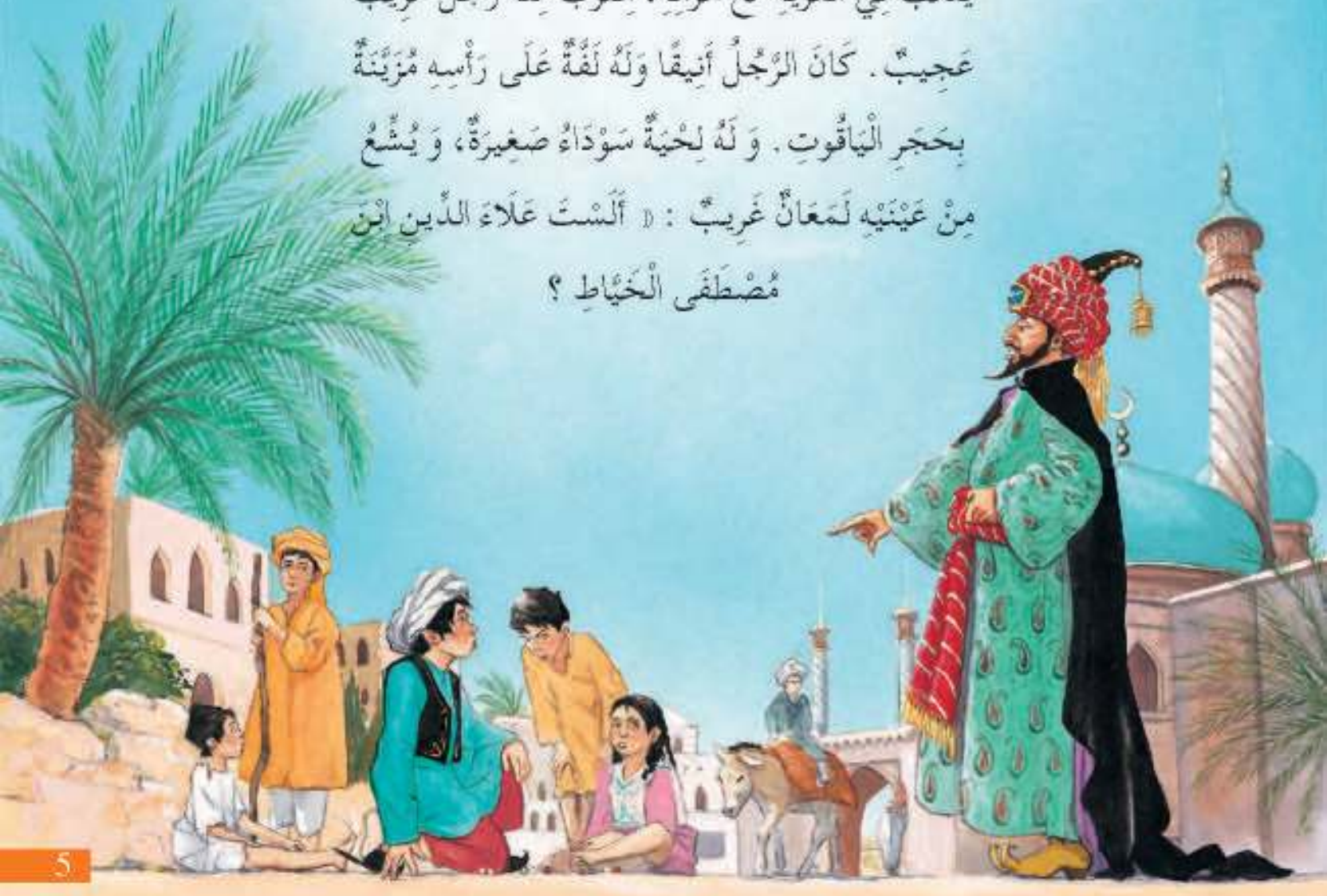

ـ أَلَا تُرِيدُ يَا بُنَيَّ أَنْ تَرْبَحَ بَعْضَ النُّقُودِ ؟

ـ آهْ..! نَعَمْ سَيِّدِي ! أَعْمَلُ أَيَّ شَيْءٍ لِأَجْلِبَ بَعْضَ الْمَالِ إِلَى بَيْتِنَا !

ـ إِذَنْ أَنْصِتْ إِلَيَّ جَيِّدًا.. يَكْفِي عَلَيْكَ أَنْ تَمُرَّ مِنْ بُوَيْبِ الْمَطْمُورَةِ الضَّيِّقِ عَلَيَّ جِدًّا، وَ أَنْ تَجْلِبَ لِي مِصْبَاحًا قَدِيمًا مَوْجُودًا بِالدَّاخِلِ. »

تَبِعَ عَلَاءُ الدِّينِ التَّاجِرَ حَتَّى مَكَانٍ بَعِيدٍ جِدًّا عَنِ الْقَرْيَةِ. وَ رَفَعَا صَفِيحَةً ثَقِيلَةً مِنَ الرُّخَامِ. فَتَسَلَّلَ الطِّفْلُ الرَّشِيقُ الْخَفِيفُ مِنَ الْفُتْحَةِ.. كَانَتْ هُنَاكَ دَرَجَاتٌ تَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ. نَزَعَ الرَّجُلُ خَاتَمًا مِنْ إِصْبَعِهِ وَ سَلَّمَهُ لَهُ وَ هُوَ يَقُولُ : « ضَعْ هَذَا الْخَاتَمَ، سَيَحْمِيكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ ». فِي أَسْفَلِ الدَّرَجِ وَجَدَ كَهْفًا كَبِيرًا. كَانَتْ هُنَاكَ صَنَادِيقُ مَلِيئَةٌ بِالْمُجَوْهَرَاتِ، وَ جِرَارٌ مِنَ الذَّهَبِ وَ أَشْجَارٌ تَئِنُّ تَحْتَ ثِقَلِ فَوَاكِهَ غَرِيبَةٍ مَصْنُوعَةٍ مِنَ الْمَاسِ وَ اللُّؤْلُؤِ وَ الصَّدَفِ. كَنْزٌ حَقِيقِيٌّ.

أَفَاقَ عَلَاءُ الدِّينِ مِنْ دَهْشَتِهِ عِنْدَ سَمَاعِهِ لِصَيْحَةٍ : «الْمِصْبَاحُ يَا عَلَاءَ الدِّينِ، إِيتِنِي بِالْمِصْبَاحِ ! » نَظَرَ الطِّفْلُ حَوْلَهُ، وَ رَأَى فَوْقَ صُنْدُوقٍ مِصْبَاحًا زَيْتِيًّا قَدِيمًا. لِمَاذَا كَانَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ يُرِيدُ هَذَا الْمِصْبَاحَ الَّذِي لَا قِيمَةَ لَهُ بَيْنَمَا الْمَكَانُ مَلِيءٌ بِالْكُنُوزِ ؟

إِنَّهُ سَاحِرٌ بِالتَّأْكِيدِ . . . صَعَدَ عَلَاءُ الدِّينِ بِبُطْءٍ نَحْوَ الْأَعْلَى وَ هُوَ قَلِقٌ.

قَالَ لَهُ الرَّجُلُ الَّذِي بَدَأَ يَفْقِدُ صَبْرَهُ : ـ اِعْطِنِي الْمِصْبَاحَ .

ـ سَاعِدْنِي عَلَى الْخُرُوجِ، أَجَابَ عَلَاءُ الدِّينِ.

صَاحَ الْغَرِيبُ : « اِعْطِنِي الْمِصْبَاحَ أَوَّلًا . »نَزَلَ عَلَاءُ الدِّينِ الدَّرَجَ دُونَ أَنْ يُجِيبَ .

ـ حَسَنًا اِبْقَ هُنَا مَا دَامَ الْحَالُ قَدْ أَعْجَبَكَ ! وَ بِغَضَبٍ كَبِيرٍ أَعَادَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ غَلْقَ الصَّفِيحَةِ ! جَلَسَ عَلَاءُ الدِّينِ وَحِيدًا فِي الظَّلَامِ، يُفَرِّكُ يَدَيْهِ مِنَ الْيَأْسِ. الْخَاتَمُ الَّذِي كَانَ فِي إِصْبَعِهِ بَدَأَ فَجْأَةً يَلْمَعُ. وَ ظَهَرَ مَخْلُوقٌ كَبِيرٌ ذُو عَيْنَيْنِ لَامِعَتَيْنِ بِرَأْسٍ مُعَمَّمٍ، وَ يَدَاهُ إِلَى صَدْرِهِ : « إِنَّنِي عِفْرِيتُ الْخَاتَمِ. شُبِّيكْ، لُبِّيكْ، أَنْتَ تَطْلُبُ وَ أَنَا أُنَفِّذُ ! »

قَالَ عَلَاءُ الدِّينِ : « أُرِيدُ أَنْ أَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ . . »

وَفِي اللَّحْظَةِ ذَاتِهَا وَجَدَ نَفْسَهُ، وَفِي يَدِهِ الْمِصْبَاحُ وَ الْخَاتَمُ، بِجَانِبِ وَالِدَتِهِ الَّتِي حَكَى لَهَا مُغَامَرَتَهُ الْعَجِيبَةَ. كَانَتْ تَسْتَمِعُ إِلَيْهِ وَهِيَ تَمْسَحُ الْمِصْبَاحَ لِتُعِيدَ إِلَيْهِ بَعْضَ بَرِيقِهِ. فَخَرَجَ مِنْهُ، فِي الْحَالِ وَسَطَ دُخَانٍ كَثِيفٍ، عِفْرِيتٌ آخَرُ أَكْثَرَ إِفْزَاعًا مِنْ جِنِّ الْخَاتَمِ : « إِنَّنِي جِنِّيُّ الْمِصْبَاحِ، أُطْلُبْ وَ أَنَا أُلَبِّي ! » وَ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَعُدْ عَلَاءُ الدِّينِ وَ أُمُّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ. مَهْمَا كَانَتْ رَغَبَاتُهُمَا كَانَ الْجِنِّيُّ الطَّيِّبُ يُنَفِّذُهَا عَلَى الْفَوْرِ.

مَرَّتِ السَّنَوَاتُ، وَ صَارَ عَلَاءُ الدِّينِ شَابًّا يَافِعًا وَ جَمِيلًا. وَ فِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ رَأَى فِي السُّوقِ بَدْرَ الْبُدُورِ ابْنَةَ السُّلْطَانِ فَأَحَبَّهَا حُبًّا شَدِيدًا. وَ هُوَ مَذْهُولٌ مِنْ ثَرَائِهِ لَمْ يَتَأَخَّرِ السُّلْطَانُ فِي تَلْبِيَةِ طَلَبِهِ بِالْمُوَافَقَةِ عَلَى زَوَاجِهِ مِنَ الْأَمِيرَةِ. بَعْدَ حَفْلِ زَوَاجٍ فَخْمٍ ذَهَبَ عَلَاءُ الدِّينِ وَ بَدْرُ الْبُدُورِ لِيَسْكُنَا قَصْرًا فَخْمًا أَخْرَجَهُ الْجِنِّيُّ وَسَطَ وَاحَةٍ ظَلِيلَةٍ.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ بَيْنَمَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ الشَّابَّةُ لِوَحْدِهَا فِي الْقَصْرِ، مَرَّ تَاجِرٌ غَرِيبٌ تَحْتَ نَوَافِذِهَا. « مَنْ يُرِيدُ اسْتِبْدَالَ مَصَابِيحَ قَدِيمَةٍ بِأُخْرَى جَدِيدَةٍ ؟ » هَكَذَا كَانَ يَصِيحُ.

لَمْ تَكُنْ بَدْرُ الْبُدُورِ تَعْرِفُ سِرَّ عَلَاءِ الدِّينِ وَ وُجُودَ الْجِنِّيِّ، لِذَا ذَهَبَتْ وَ أَحْضَرَتِ الْمِصْبَاحَ الْقَدِيمَ وَ اسْتَبْدَلَتْهُ مَعَ التَّاجِرِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ سِوَى السَّاحِرِ الْخَبِيثِ اللَّعِينِ الَّذِي عَادَ بَعْدَ كُلِّ تِلْكَ السَّنَوَاتِ.

وَ بِسُرْعَةٍ قَامَ بِفَرْكِ الْمِصْبَاحِ وَ أَخْرَجَ الْجِنِّيَّ تَحْتَ النَّظْرَةِ الْخَائِفَةِ لِلْمَرْأَةِ الشَّابَّةِ : « أَنَا جِنِّيُّ الْمِصْبَاحِ، أُطْلُبْ وَ أَنَا أُلَبِّي.

ـ أَيُّهَا الْجِنِّيُّ، أَنَا سَيِّدُكَ الْجَدِيدُ، عَلَيْكَ أَنْ تُطِيعَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَ أَمَرَهُ السَّاحِرُ أَنْ يَنْقُلَهُ مَعَ الْقَصْرِ وَ الْأَمِيرَةِ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ جِدًّا. اِخْتِفَاءُ بَدْرِ الْبُدُورِ أَدْخَلَ عَلَاءَ الدِّينِ فِي قُنُوطٍ عَمِيقٍ. وَ مَرَّةً أُخْرَى لَجَأَ إِلَى جِنِّيِّ الْخَاتَمِ يَتَرَجَّاهُ : « أَرْجُوكَ انْقُلْنِي حَيْثُ تُوجَدُ مَحْبُوبَتِي، لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَعِيشَ بِدُونِهَا... » وَ فِي لَمْحَةِ الْبَصَرِ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي مَطْبَخِ الْقَصْرِ وَ كَانَتْ أَمَامَهُ بَدْرُ الْبُدُورِ تُحَضِّرُ غَدَاءَ السَّاحِرِ.

ـ عَلَاءُ الدِّينِ أَنْتَ هُنَا ؟!

ـ أَسْرِعِي، عَزِيزَتِي خُذِي هَذَا الْمَسْحُوقَ وَ ضَعِيهِ فِي شَايِ السَّاحِرِ ! ثِقِي بِي ! وَ هَكَذَا سُمِعَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ شَخِيرُ الْبَائِعِ الْمَهْزُومِ بِفَضْلِ الْمُنَوِّمِ. أَخَذَ عَلَاءُ الدِّينِ الْمِصْبَاحَ وَ أَخْرَجَ الْجِنِّيَّ مَرَّةً أُخْرَى وَ أَمَرَهُ بِأَنْ يُرْجِعَهُمْ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ إِلَى بِلَادِهِمَا.

بَكَى السُّلْطَانُ فَرَحًا بِعَوْدَةِ ابْنَتِهِ وَزَوْجِهَا، وَ أُقِيمَتْ أَفْرَاحٌ كَبِيرَةٌ لِعِدَّةِ أَيَّامٍ فِي الْمَدِينَةِ. أَمَّا السَّاحِرُ الشِّرِّيرُ فَقَدْ تَمَّ نَبْذُهُ مِنَ الْمَمْلَكَةِ. وَ لَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَسْمَعُ عَنْهُ شَيْئًا.

عَلِي بَابَا وَالْأَرْبَعُونَ لِصًّا

(مقتبس من حكايات ألف ليلة و ليلة)

كَانَ الْأَخَوَانِ عَلِي بَابَا وَ قَاسِمٌ مِنْ عَائِلَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ. كَانَ عَلِي بَابَا يَعِيشُ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ، وَ كَانَ يَرْبَحُ قُوتَهُ مِنْ قَطْعِ وَ جَمْعِ الْحَطَبِ مِنَ الْغَابَةِ لِيَبِيعَهُ فِي السُّوقِ. أَمَّا قَاسِمٌ فَقَدْ تَزَوَّجَ مِنْ وَرِيثَةِ تَاجِرٍ ثَرِيٍّ جِدًّا. كَانَ يَرْتَدِي مَلَابِسَ حَرِيرِيَّةً مُطَرَّزَةً بِالْفِضَّةِ وَ كَانَ فَخُورًا بِمَسَاكِنِهِ الْفَخْمَةِ. لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ أَبَدًا أَنْ يُشْرِكَ أَخَاهُ ثَرْوَتَهُ الضَّخْمَةَ.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، وَقْتَ الظَّهِيرَةِ، كَانَ عَلِي بَابَا عَلَى وَشْكِ مُغَادَرَةِ الْغَابَةِ، بَعْدَ أَنْ جَمَعَ كَمِّيَّةً مُعْتَبَرَةً مِنَ الْحَطَبِ، عِنْدَمَا رَأَى فُرْسَانًا عَلَى ظُهُورِ خَيْلِهِمْ : « أَهَؤُلَاءِ الْقَادِمُونَ إِلَى هُنَا لُصُوصٌ ؟ » تَسَاءَلَ عَلِي بَابَا فِي نَفْسِهِ. اِخْتَبَأَ فِي أَعْلَى الشَّجَرَةِ، كَانُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا ذَوِي وُجُوهٍ قَبِيحَةٍ يَقْتَرِبُونَ. « لَمْ أَكُنْ مُخْطِئًا، إِنَّهُمْ لُصُوصٌ بِالْفِعْلِ » قَالَ عَلِي بَابَا الَّذِي أَدْهَشَتْهُ الصَّنَادِيقُ الْكَبِيرَةُ وَ الرُّزَمُ الَّتِي كَانَتْ مُحَمَّلَةً عَلَى الْأَحْصِنَةِ.

مِنْ فَوْقِ شَجَرَتِهِ كَانَ عَلِي بَابَا يَسْمَعُ وَ يَرَى كُلَّ شَيْءٍ. اِقْتَرَبَ قَائِدُ اللُّصُوصِ مِنْ بَابٍ كَبِيرٍ كَانَ مَخْفِيًّا فِي صَخْرَةٍ. وَقَفَ عِنْدَهَا وَ قَالَ : « اِفْتَحْ يَا سِمْسِمْ ! » بِمُجَرَّدِ أَنْ تَلَفَّظَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ حَتَّى فُتِحَ الْبَابُ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ. تَبِعَهُ التِّسْعَةُ وَ الثَّلَاثُونَ فَارِسًا إِلَى دَاخِلِ الْكَهْفِ وَ خَبَّؤُوا الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ الْبَضَائِعَ الَّتِي سَرَقُوهَا. ثُمَّ أَمَرَهُمُ الْقَائِدُ بِالْخُرُوجِ وَ قَالَ : « اِغْلِقْ يَا سِمْسِمْ ! » فَانْغَلَقَتِ الْبَابُ ثُمَّ غَادَرُوا.

عِنْدَمَا ابْتَعَدُوا نَزَلَ عَلِي بَابَا، الَّذِي كَانَ يَأْكُلُهُ الْفُضُولُ، مِنَ الشَّجَرَةِ وَ اقْتَرَبَ مِنَ الْكَهْفِ وَ قَالَ : « اِفْتَحْ يَا سِمْسِمْ ! »

فَامْتَثَلَتِ الْبَابُ لِأَمْرِهِ، فَدَخَلَ الْكَهْفَ وَ كَانَ أَكْثَرَ مَكَانٍ شَسَاعَةً وَ إِثَارَةً قَدْ رَآهُ فِي حَيَاتِهِ. وَجَدَ - فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ زَرَابِيَّ - مُطَرَّزَةً وَ أَقْمِشَةً ثَمِينَةً ثُمَّ خَوَابِيَ مَلِيئَةً بِالذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْمُجَوْهَرَاتِ. كَانَ الْمَكَانُ يَفِيضُ بِالْكُنُوزِ حَتَّى قَالَ فِي نَفْسِهِ : « إِنَّ جُحْرَ اللُّصُوصِ هَذَا يَشْتَغِلُ مُنْذُ قُرُونٍ عَلَى مَا يَبْدُو ! » لَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَتَأَخَّرَ فِي الْمَكَانِ، خَرَجَ وَ هُوَ يَحْمِلُ كِيسَيْنِ كَبِيرَيْنِ مِنَ الْقِطَعِ الذَّهَبِيَّةِ. وَ أَمَرَ الْبَابَ أَنْ تَنْغَلِقَ وَ عَادَ إِلَى بَيْتِهِ. أَطْلَعَ عَلِي بَابَا زَوْجَتَهُ عَلَى اكْتِشَافِهِ الْبَاهِرِ، قَلِقَتْ فِي الْأَوَّلِ : « مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِكُلِّ هَذِهِ الْقِطَعِ الذَّهَبِيَّةِ ؟ هَلْ صِرْتَ لِصًّا ؟ » أَجَابَ : « لَقَدْ سَرَقْتُهَا مِنَ اللُّصُوصِ »، ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهَا الْحِكَايَةَ وَ طَلَبَ مِنْهَا أَنْ تُحَافِظَ عَلَى السِّرِّ. بَعْدَ أَنِ اطْمَأَنَّتْ سَأَلَتْهُ عَنْ كَمِّيَّةِ الذَّهَبِ الَّتِي يَحْتَوِيهَا الْكِيسَانِ، وَقَالَتْ لَهُ : « عَلَيْنَا أَنْ نَزِنَ هَذِهِ الْقِطَعَ ». أَجَابَ عَلِي بَابَا أَنْ لَا فَائِدَةَ مِنْ ذَلِكَ بَلْ عَلَيْهِمَا أَنْ يَدْفِنَاهَا فِي الْحَدِيقَةِ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ.

قَالَتْ زَوْجَتُهُ : « يَا لَلْأَسَفِ، كَمْ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَعْرِفَ ! » وَ أَلَحَّتْ فِي الطَّلَبِ حَتَّى رَضَخَ قَائِلًا : « حَسَنًا سَأَنْتَظِرُ حَتَّى تَزِنِي الذَّهَبَ قَبْلَ دَفْنِهِ ». وَ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَسْتَعِيرُوا مِيزَانًا .

ذَهَبَتْ زَوْجَةُ عَلِي بَابَا عِنْدَ أَخِيهِ قَاسِمٍ وَ كَانَ يَسْكُنُ غَيْرَ بَعِيدٍ . قَبِلَتْ زَوْجَةُ قَاسِمٍ بِسُرْعَةٍ أَنْ تُقْرِضَهَا مِيزَانَهَا . غَيْرَ أَنَّ الْفُضُولَ تَلَبَّسَهَا بِخُصُوصِ الْحُبُوبِ الَّتِي يُرِيدُ هَذَا الْمِسْكِينُ عَلِي بَابَا وَزَوْجَتُهُ وَزْنَهَا . وَ حَتَّى تُرْضِي فُضُولَهَا وَضَعَتْ بَعْضَ الْوَدْكِ (الشَّحْمِ) تَحْتَ الْمِيزَانِ حَتَّى تَحْتَفِظَ بِحَبَّةٍ أَوِ اثْنَتَيْنِ مِمَّا يُوضَعُ فِيهِ . ثُمَّ أَعْطَتِ الْمِيزَانَ لِزَوْجَةِ عَلِي بَابَا .

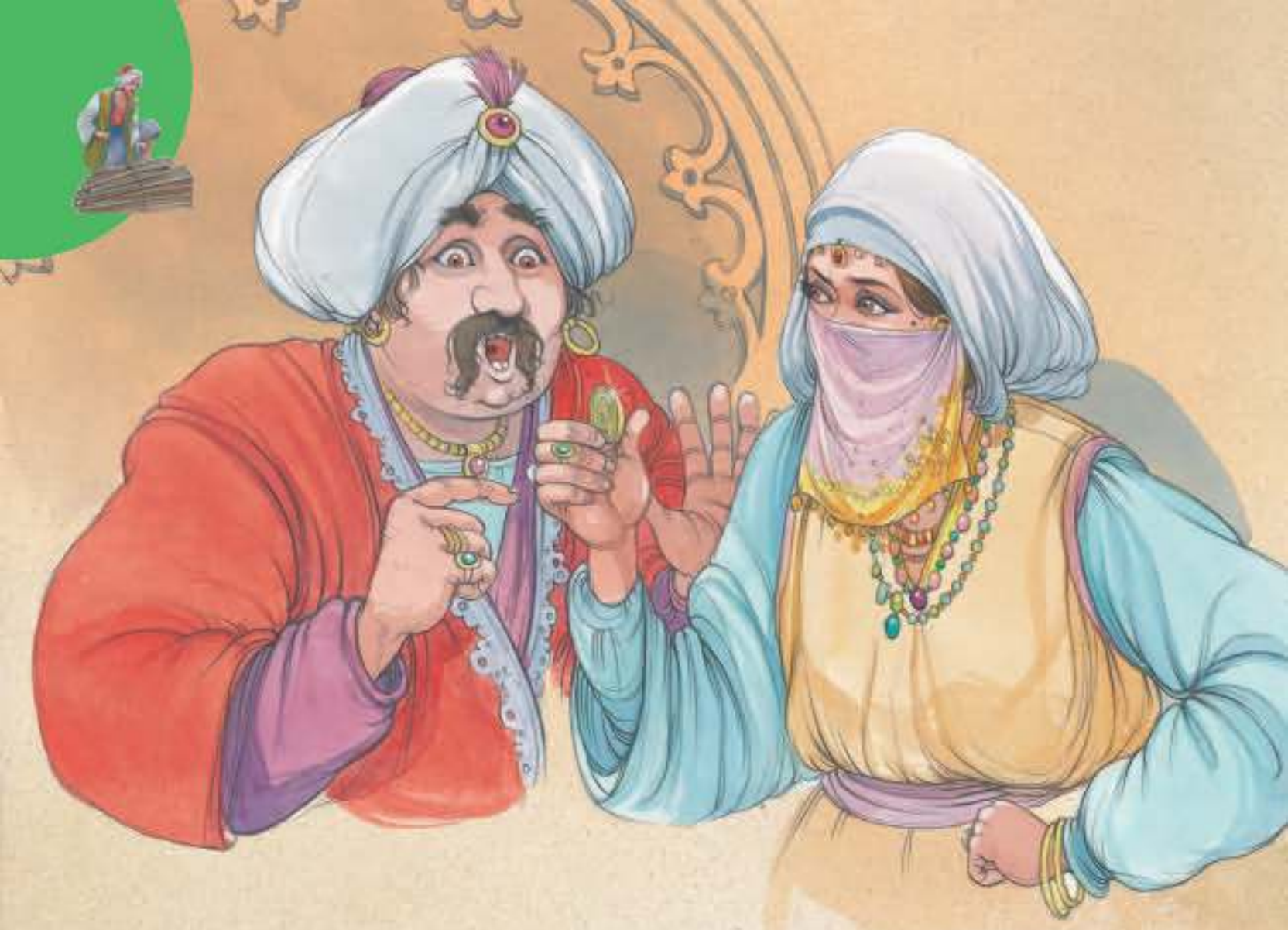

بَعْدَ أَنْ تَمَّ وَزْنُ الذَّهَبِ أُعِيدَ الْمِيزَانُ إِلَى زَوْجَةِ قَاسِمٍ وَ لَمَّا فَحَصَتْهُ وَجَدَتْ عِوَضَ الْحُبُوبِ قِطْعَةَ ذَهَبٍ مُلْتَصِقَةً بِقَاعِ الْمِيزَانِ ! سَارَعَتْ إِلَى زَوْجِهَا وَ قَالَتْ لَهُ : « يَا قَاسِمُ لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ أَبَدًا أَيَّ نَوْعٍ مِنَ الْحُبُوبِ يُخَبِّئُهُ أَخُوكَ حَالِيًا . . الذَّهَبُ ! أَخُوكَ الَّذِي صَارَ يَمْلِكُ الْكَثِيرَ مِنَ الذَّهَبِ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَعُدُّ الْقِطَعَ بَلْ يَزِنُهَا ! »

لَمْ يُصَدِّقْ قَاسِمٌ مَا سَمِعَ، وَ ذَهَبَ مُبَاشَرَةً إِلَى عَلِي بَابَا . « وَجَدَتْ زَوْجَتِي قِطْعَةَ ذَهَبٍ تَحْتَ الْمِيزَانِ الَّذِي أَقْرَضْتُكَ إِيَّاهُ . مِنْ أَيْنَ لَكَ بِهَذَا الذَّهَبِ وَ أَنْتَ الَّذِي لَمْ تَمْلِكْ مِنْهُ أَبَدًا ؟! » فَهِمَ عَلِي بَابَا أَنَّ أَمْرَهُ قَدِ اكْتُشِفَ، وَ بَاحَ بِسِرِّهِ لِأَخِيهِ. قَالَ قَاسِمٌ : « دُلَّنِي بِسُرْعَةٍ عَلَى مَكَانِ الْمَغَارَةِ » وَدَلَّهُ عَلِي بَابَا عَلَى طَرِيقِهَا .

فِي الْغَدِ، نَهَضَ قَاسِمٌ بَاكِرًا، وَ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْغَابَةِ، وَ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْمَغَارَةِ نَطَقَ الْعِبَارَةَ السِّحْرِيَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا لَهُ أَخُوهُ، وَ دَخَلَ. لَمْ يَحْكِ لَهُ عَلِي بَابَا كَمْ كَانَ اكْتِشَافُهُ عَجِيبًا. عِنْدَ رُؤْيَةِ كُلِّ تِلْكَ الْكُنُوزِ، رَاحَ قَاسِمٌ يَجْرِي فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ وَ يَضْحَكُ لِوَحْدِهِ، فَتَّشَ كُلَّ أَرْكَانِ الْمَغَارَةِ، بَعْدَهَا تَذَكَّرَ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِيَأْخُذَ مَا يُعْجِبُهُ وَ يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ.

أَخَذَ أَرْبَعَةَ أَكْيَاسٍ مِنَ الْقِطَعِ الذَّهَبِيَّةِ وَ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْبَابِ الَّذِي كَانَ قَدِ انْغَلَقَ خَلْفَ الزَّائِرِ. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ كَلِمَةَ السِّرِّ مُجَدَّدًا. قَالَ قَاسِمٌ: « اِفْتَحْ يَا ذُرَّةُ ! » لَمْ تَكُنِ الْكَلِمَةُ الْمُلَائِمَةُ، وَ وَجَدَ صُعُوبَةً فِي التَّذَكُّرِ « لِنَرَى... اِفْتَحْ يَا قَمْحُ ! » الْبَابُ لَمْ يُفْتَحْ أَيْضًا. « اِفْتَحْ يَا شَعِيرُ ! » لَاشَيْءَ مَرَّةً أُخْرَى.

وَ هَكَذَا كَرَّرَ عِدَّةَ أَسْمَاءٍ لِلْحُبُوبِ. كَانَ يُحَاوِلُ أَنْ يَتَذَكَّرَ الْكَلِمَةَ الْمُلَائِمَةَ لَكِنَّهُ سَمِعَ فُرْسَانًا يَقْتَرِبُونَ. كَانَ اللُّصُوصُ الْأَرْبَعُونَ قَدْ جَاءُوا لِإِخْفَاءِ غَنِيمَةٍ جَدِيدَةٍ. قَالَ الْقَائِدُ : « إِفْتَحْ يَا سِمْسِمْ ! » إِنْفَتَحَ الْبَابُ وَ وَجَدُوا قَاسِمًا مَشْدُوهًا. قَالَ الْقَائِدُ : « تَمَكَّنَ هَذَا الْوَغْدُ مِنَ الدُّخُولِ !، أَمْسِكُوا بِهِ ! »

هَجَمَ عَلَيْهِ الْفُرْسَانُ، فَقَتَلُوهُ مُبَاشَرَةً، ثُمَّ قَطَعُوا جُثَّتَهُ إِلَى أَرْبَعِ قِطَعٍ، وَ وَزَّعُوهَا عَلَى أَطْرَافِ الْمَغَارَةِ، ظَانِّينَ أَنَّ مَنْ يَرَى هَذَ الْمَنْظَرَ الفَضِيعَ، لَنْ تُسَوِّلَ لَهُ نَفْسُهُ الدُّخُولَ إِلَى هُنَا. بَعْدَ أَنِ انْتَهَوْا مِنْ عَمَلِيَّتِهِمِ الدَّمَوِيَّةِ غَادَرُوا.

عِنْدَمَا رَأَتْ زَوْجَةُ قَاسِمٍ أَنَّ زَوْجَهَا لَمْ يَعُدْ، أَعْلَمَتْ عَلِي بَابَا بِذَلِكَ. ذَهَبَ هَذَا الْأَخِيرُ إِلَى مَغَارَةِ اللُّصُوصِ فَعَرَفَ مَصِيرَ أَخِيهِ.

لَمَّا عَلِمَتْ مَصِيرَ زَوْجِهَا، بَكَتْ زَوْجَةُ قَاسِمٍ كَثِيرًا، إِقْتَرَحَ عَلَيْهَا عَلِي بَابَا أَنْ تَكُونَ لَهُ زَوْجَةً ثَانِيَةً، وَ كَانَ ذَلِكَ أَمْرًا عَادِيًّا فِي هَذَا الْبَلَدِ، فَقَبِلَتْ.

عَاشَ عَلِي بَابَا وَ زَوْجَتَاهُ فِي سَعَادَةٍ، وَ هُمْ يَحْتَفِظُونَ بِالسِّرِّ، وَ بَيْنَ مَرَّةٍ وَ أُخْرَى يَذْهَبُونَ لِلتَّزَوُّدِ مِنَ الْمَغَارَةِ.

آلِيسْ فِي بِلَادِ الْعَجَائِبِ

(مقتبس من حكايات لويس كارول)

كَانَتْ آلِيسْ جَالِسَةً عَلَى مَقْعَدٍ بِجَانِبِ أُخْتِهَا الْكُبْرَى الَّتِي كَانَتْ تَقْرَأُ كِتَابًا بِدُونِ صُوَرٍ. و لَمَّا بَدَأَتْ تَشْعُرُ بِالْمَلَلِ قَرَّرَتْ أَنْ تَخْرُجَ لِقَطْفِ الْأَزْهَارِ. مَرَّ بِقُرْبِهَا أَرْنَبٌ أَبْيَضُ ذُو عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ رَاكِضًا. لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ غَرِيبًا، غَيْرَ أَنَّ آلِيسْ اسْتَغْرَبَتْ عِنْدَمَا سَمِعَتِ الْأَرْنَبَ يُتَمْتِمُ : « تَبًّا !، سَأَتَأَخَّرُ ! » ثُمَّ أَخْرَجَ سَاعَةً مِنْ جَيْبِ سُتْرَتِهِ وَ نَظَرَ إِلَيْهَا وَ انْطَلَقَ. هَذِهِ الْمَرَّةَ لَمْ تُصَدِّقْ آلِيسْ عَيْنَيْهَا. تَمَلَّكَهَا الْفُضُولُ، فَرَكَضَتْ خَلْفَهُ. لَكِنَّهُ كَانَ بَعِيدًا جِدًّا وَ لَمْ يَكُنْ لَهَا الْوَقْتُ الْكَافِي إِلَّا لِتَرَاهُ يَخْتَفِي فِي جُحْرٍ وَاسِعٍ.

وَ هَكَذَا، وَ بِدونِ تَرَدُّدٍ دَخَلَتْ هِيَ الْأُخْرَى فِي الْجُحْرِ. تَبِعَتْ أَوَّلًا نَفَقًا اِنْحَدَرَ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى بِئْرٍ كَبِيرَةٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ. كَانَتْ آلِيسْ تَسْقُطُ وَ تَسْقُطُ وَ خِلَالَ سُقُوطِهَا كَانَتْ تَرَى رُفُوفًا مَلِيئَةً بِعُلَبِ الْمُرَبَّى وَوَاجِهَاتٍ مُمْتَلِئَةً بِالْمُرَطَّبَاتِ و الْحَلْوَى. ثُمَّ فَجْأَةً (بُومْ) .. لَقَدْ حَطَّتْ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْمَيِّتَةِ.

كَانَ الظَّلَامُ حَالِكًا. وَ هِيَ تَتَلَمَّسُ الطَّرِيقَ، وَصَلَتْ إِلَى قَاعَةٍ كَبِيرَةٍ مُضَاءَةٍ تَتَوَسَّطُهَا مَائِدَةٌ صَغِيرَةٌ بِثَلَاثَةِ أَرْجُلٍ، لَا يُوجَدُ عَلَيْهَا شَيْءٌ غَيْرَ مِفْتَاحٍ صَغِيرٍ، تَسَاءَلَتْ آلِيسْ عَنِ الْبَابِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَفْتَحَهَا هَذَا الْمِفْتَاحُ الصَّغِيرُ جِدًّا. ثُمَّ لَاحَظَتْ فِي الْجِدَارِ الْمُوَاجِهِ بَابًا صَغِيرًا.

دَخَلَ الْمِفْتَاحُ تَمَامًا فِي قُفْلِها. كَانَ هُنَاكَ نَفَقٌ آخَرُ لَكِنَّهُ كَانَ أَضْيَقَ مِنْ أَنْ تَدْخُلَهُ آلِيسْ. اِنْبَطَحَتْ وَرَأَتْ فِي عُمْقِهِ أَجْمَلَ حَدِيقَةٍ صَغِيرَةٍ لَمْ تَرَ مِثْلَهَا قَطُّ، بِيَنَابِيعَ مَنْحُوتَةٍ بِأَلْوَانِ قَوْسِ قُزَحٍ. فَكَّرَتْ آلِيسْ : « آهٍ لَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْغُرَ كَمِنْظَارٍ وَ أَتَجَوَّلَ فِي هَذِهِ الْحَدِيقَةِ الْعَجِيبَةِ ! » لَكِنَّ قَامَتَهَا كَانَتْ أَكْبَرَ مِنْ أَنْ تَدْخُلَ فِي ذَلِكَ النَّفَقِ الضَّيِّقِ.

رَجَعَتْ نَحْوَ الطَّاوِلَةِ الصَّغِيرَةِ وَ هِيَ حَزِينَةٌ وَ مُحْبَطَةٌ.

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ حَدَثَتْ مُفَاجَأَةٌ ! زُجَاجَةٌ صَغِيرَةٌ كَانَتْ هُنَاكَ، مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا عِبَارَةُ « اِشْرَبِينِي ».

نَظَرَتْ إِلَيْهَا آلِيسْ - فِي الْبَدْءِ - بِحَذَرٍ لِتَرَى إِنْ لَمْ يَكُنْ مَكْتُوبًا عَلَيْهَا عِبَارَةُ « سُمٌّ ». وَ عِنْدَمَا لَمْ تَجِدْ أَيَّةَ إِشَارَةٍ مِنْ هَذَا النَّوْعِ شَرِبَتْ. كَانَ مَذَاقُهَا رَائِعًا، يُشْبِهُ خَلِيطًا مِنْ عَصِيرِ الْفَرَاوْلَةِ وَ الْمِشْمِشِ وَ حَلِيبِ جُوزِ الْهِنْدِ.

وَ فَجْأَةً قَالَتْ : « أَلَسْتُ أَتَقَلَّصُ ؟ »

نَعَمْ كَانَ الْحَالُ كَذَلِكَ، كَانَتْ آلِيسْ تَتَقَلَّصُ كَالْمِنْظَارِ وَ صَارَتْ لَهَا الْقَامَةُ الْمُنَاسِبَةُ لِكَيْ تَعْبُرَ الْبَوَّابَةَ الصَّغِيرَةَ.

أَيُّ حَظٍّ ! رَكَضَتْ بِكُلِّ مَا فِي سَاقَيْهَا الصَّغِيرَتَيْنِ مِنْ قُوَّةٍ لِكَيْ تَصِلَ إِلَى الْحَدِيقَةِ السَّاحِرَةِ، لَمْ يَسْبِقْ لَهَا أَنْ رَأَتْ كُلَّ هَذِهِ الْأَلْوَانِ مَرَّةً وَاحِدَةً وَ لَا أَنِ اسْتَنْشَقَتْ عُطُورًا فِي ذَلِكَ الشَّذَى

فَجْأَةً سَمِعَتْ أَصْوَاتَ خُطًى. كَانَتْ لِلْأَرْنَبِ الْأَبْيَضِ الَّذِي كَانَ فِي كَامِلِ أَنَاقَتِهِ. كَانَ يَحْمِلُ فِي يَدِهِ مِرْوَحَةً وَ قُفَّازَيْنِ أَبْيَضَيْنِ. صَاحَ : « أُوو !، إِذَا جَعَلْتُ الدُّوقَةَ تَنْتَظِرُ أَكْثَرَ سَتَكُونُ سَاخِطَةً ! » لَمْ تَكُنْ آلِيسْ تَعْرِفُ أَيْنَ تَتَّجِهُ، وَ سَأَلَتِ الْحَيَوَانَ الْمُسْتَعْجِلَ أَنْ يَدُلَّهَا عَلَى الطَّرِيقِ : « مِنْ فَضْلِكَ سَيِّدِي الْأَرْنَبَ... » نَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَفَزَ بَعِيدًا و اخْتَفَى بَيْنَ الْأَعْشَابِ الْعَالِيَةِ تَارِكًا وَرَاءَهُ مِرْوَحَتَهُ وَ قُفَّازَيْهِ

اِلْتَقَطَتْ آلِيسْ الْقُفَّازَيْنِ وَ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « لَا أُرِيدُ أَنْ أَبْقَى وَحْدِي هُنَا »، وَرَاحَتْ تَبْكِي حَتَّى وَجَدَتْ نَفْسَهَا وَسَطَ بِرْكَةٍ مِنَ الدُّمُوعِ. الْأَرْنَبُ الَّذِي مَرَّ مَرَّةً أُخْرَى مِنْ هُنَاكَ لَمْ يُوَاسِيهَا بَلْ كَلَّمَهَا بِغَضَبٍ : « إِيهِ ! يَا أَلْفُونْسِينْ الْعَزِيزَةَ مَاذَا تَنْتَظِرِينَ ؟ اُرْكُضِي إِلَى الْبَيْتِ وَ أَحْضِرِي لِي قُفَّازَيَّ وَمِرْوَحَتِي ! »

فَكَّرَتْ آلِيسْ : « هَذَا الْأَرْنَبُ يَظُنُّنِي خَادِمَتَهُ، إِيهْ ! بَعْدَ هَذَا أَظُنُّ أَنَّهُ عَلَيَّ أَنْ أُطِيعَهُ ».

جَفَّفَتْ دُمُوعَهَا الَّتِي مَازَالَتْ حَارَّةً. وَ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ بَيْتٍ أَبْيَضَ جَمِيلٍ. كَانَتْ شُجَيْرَاتُ الْوَرْدِ تُزَيِّنُ مَدْخَلَهُ. الْوُرُودُ كَانَتْ بَيْضَاءَ كَالْبَيْتِ، غَيْرَ أَنَّ ثَلَاثَةَ بُسْتَانِيِّينَ غَرِيبِي الْأَطْوَارِ يَعْمَلُونَ عَلَى صَبْغِهَا بِالْأَحْمَرِ. اِقْتَرَبَتْ آلِيسْ وَ سَمِعَتْ أَحَدَهُمْ يَقُولُ : « اِحْذَرْ، يَا بَرْسِيمُ 5 !، إِنَّكَ تَقْذِفُ الصِّبْغَ عَلَى وَجْهِي » قَالَ بَرْسِيمُ 2 غَاضِبًا. أَجَابَ بَرْسِيمُ 5 : « لَيْسَتْ غَلْطَتِي، إِنَّهُ الْبَسْتُونِي 9 هُوَ مَنْ دَفَعَنِي ».

سَأَلَتْ آلِيسْ بِمَرَحٍ : « أَيُّهَا السَّادَةُ لِمَاذَا تَصْبَغُونَ هَذِهِ الْوُرُودَ ؟ »

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ صَاحَ بَرْسِيمْ 5 : « الْمَلِكَةُ..! »

اِرْتَمَى الْبُسْتَانِيُّونَ أَرْضًا. وَصَلَ الصِّبْيَةُ ثُمَّ أَبْنَاءُ الْمَلِكِ وَ الْمَلِكَةِ ثُمَّ الْجُوكَرْ ثُمَّ مَلِكُ وَ مَلِكَةُ الْقَلْبِ، قَالَتِ الْمَلِكَةُ بِصَرَامَةٍ وَ هِيَ تَنْظُرُ إِلَى آلِيسْ : « مَنْ هِيَ هَذِهِ الصَّغِيرَةُ ؟ » قَالَتِ الْبِنْتُ الصَّغِيرَةُ بِتَهْذِيبٍ : « اِسْمِي آلِيسْ فِي خِدْمَتِكِ يَا صَاحِبَةَ الْجَلَالَةِ ». وَ سَأَلَتِ الْمَلِكَةُ وَ هِيَ تُشِيرُ إِلَى الْبُسْتَانِيِّينَ الثَّلَاثَةِ : « وَهُمْ ؟ » رَدَّتْ آلِيسْ : « كَيْفَ لِي أَنْ أَعْرِفَ ؟، هَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي » وَ هِيَ مُتَفَاجِئَةٌ مِنْ كَوْنِهَا تَجَرَّأَتْ فِي الرَّدِّ بِهَذَا الْجَوَابِ.

نَظَرَتْ إِلَيْهَا الْمَلِكَةُ بِسُخْطٍ: « فَلْتُؤْخَذْ ».. هَمَسَ الْمَلِكُ فِي أُذُنِهَا : « فَكِّرِي يَا عَزِيزَتِي إِنَّهَا مُجَرَّدُ طِفْلَةٍ. » لَكِنَّ آلِيسْ شَعَرَتْ فَجْأَةً بِإِحْسَاسٍ غَرِيبٍ : بَدَا لَهَا أَنَّهَا تَكْبُرُ شَيْئًا فَشَيْئًا وَ أَنَّهَا سَتَسْتَعِيدُ قَامَتَهَا الطَّبِيعِيَّةَ قَرِيبًا، لَكِنْ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُلَاحِظُ ذَلِكَ. « خُذُوهَا » صَاحَتِ الْمَلِكَةُ.

« وَ مَنْ يَكْتَرِثُ لَكُمْ قَالَتْ آلِيسْ. إِنَّكُمْ مُجَرَّدُ لُعْبَةِ وَرَقٍ ! » عِنْدَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ تَطَايَرَتْ كُلُّ الْأَوْرَاقِ وَ تَسَاقَطَتْ عَلَى الْفَتَاةِ. أَطْلَقَتْ آلِيسْ صَيْحَةً صَغِيرَةً وَ نَفَضَتْ جِسْمَهَا لِتَتَخَلَّصَ مِنْهَا.. فَوَجَدَتْ نَفْسَهَا مُمَدَّدَةً عَلَى الْمَقْعَدِ وَ رَأْسُهَا عَلَى رُكْبَةِ أُخْتِهَا. وَ كَانَتْ وَرَقَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ سَقَطَتْ عَلَى وَجْهِهَا مِنَ الشَّجَرَةِ.

« اِنْهَضِي آلِيسْ، كَمْ نِمْتِ طَوِيلًا ! » أَجَابَتْ آلِيسْ : « يَا لَهُ مِنْ حُلْمٍ غَرِيبٍ رَأَيْتُ ! » وَ قَصَّتْ عَلَى أُخْتِهَا الْحُلُمَ الْغَرِيبَ وَ الْجَمِيلَ الَّذِي مَازَالَتْ تَتَذَكَّرُهُ حَتَّى الْيَوْمَ.

الْجَمِيلَةُ وَ الْوَحْشُ

(مقتبس من حكايات عالمية)

كَانَ يَا مَا كَانَ، فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، تَاجِرٌ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ. كَانَتِ الْأُخْتَانِ الْكَبِيرَتَانِ مُتَكَبِّرَتَيْنِ لَا تَهْتَمَّانِ إِلَّا بِفَسَاتِينِهِمَا وَ حُلَيِّهِمَا. وَ كَانَتَا لَاتَكُفَّانِ عَنِ شَتْمِ أُخْتِهِمَا الصَّغِيرَةِ الَّتِي كَانَتْ، فِي الْمُقَابِلِ، الطِّيبَةَ ذَاتَهَا. وَ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَيْضًا جَمِيلَةً جِدًّا، كَانَتْ تُسَمَّى الْجَمِيلَةَ. وَ كَانَتْ هِيَ مَنْ تُحَضِّرُ الطَّعَامَ وَ تَتَكَفَّلُ بِتَرْتِيبِ الْبَيْتِ، بَيْنَمَا كَانَتْ أُخْتَاهَا تَلْهُوَانِ.

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، تَلَقَّى التَّاجِرُ رِسَالَةً تُعْلِمُهُ بِأَنَّ شَأْنًا يَنْتَظِرُهُ فِي الْمَدِينَةِ. بِأَمَلٍ كَبِيرٍ طَلَبَتِ الْأُخْتَانِ الْكَبِيرَتَانِ مِنْ أَبِيهِمَا أَنْ يُحْضِرَ لَهُمَا مَعَهُ مَلَابِسَ جَدِيدَةً. وَ قَالَ الْأَبُ : « أَعِدُكُمَا بِذَلِكَ. وَ أَنْتِ أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ أَلَا تُرِيدِينَ شَيْئًا ؟

ـ شُكْرًا أَبِي، أَنَا لَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ. غَيْرَ أَنَّهُ إِنْ وَجَدْتَ فِي طَرِيقِكَ وَرْدَةً سَأَكُونُ مُبْتَهِجَةً وَ أَنَا أَسْتَنْشِقُ عِطْرَهَا ». وَ ذَهَبَ الْأَبُ.

إِلَّا أَنَّ التَّاجِرَ سَارَتْ أُمُورُهُ بِشَكْلٍ سَيِّءٍ، فَقَرَّرَ الْعَوْدَةَ. وَ فِي طَرِيقِهِ، وَ هُوَ فِي الْغَابَةِ، رَأَى فَجْأَةً نُورًا شَدِيدًا يَلْمَعُ. اِقْتَرَبَ مِنْهُ فَاكْتَشَفَ قَصْرًا رَائِعًا. كَانَ الْبَابُ مَفْتُوحًا فَدَخَلَ وَ نَادَى، غَيْرَ أَنَّ الْقَصْرَ كَانَ خَالِيًا. فَخَرَجَ، وَ فِي مَمَرَّاتِ الْحَدِيقَةِ وَجَدَ شُجَيْرَاتِ وَرْدٍ كَثِيرَةً. تَذَكَّرَ طَلَبَ الْجَمِيلَةِ وَ قَطَفَ وَرْدَةً.

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتِي قَطَفَ فِيهَا الْوَرْدَةَ سَمِعَ ضَجِيجًا يَصُمُّ الْآذَانَ. ظَهَرَ مَخْلُوقٌ وَحْشِيٌّ وَ صَاحَ : « لَقَدْ سَرَقْتَ مِنِّي وَرْدَةً هِيَ أَغْلَى مَا أَمْلِكُ !، لِهَذَا يَجِبُ أَنْ تَمُوتَ. اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَتْ لَكَ بِنْتٌ تَقْبَلُ أَنْ تَمُوتَ مَكَانَكَ. فِي هَذِهِ الْحَالِ اذْهَبْ وَاجْلِبْهَا وَ سَتَنْجُو بِحَيَاتِكَ ».

عِنْدَ عَوْدَتِهِ إِلَى الْبَيْتِ أَطْلَعَ التَّاجِرُ الْبَنَاتَ عَلَى الصَّفْقَةِ الرَّهِيبَةِ. قَالَتِ الْجَمِيلَةُ : « أَبَتِ، اُتْرُكْنِي أَذْهَبْ. لَوْ أَنْتَ تَمُوتُ، سَأَمُوتُ أَنَا حُزْنًا عَلَيْكَ ». صَاحَ الْأَبُ مُحْتَجًّا، وَ لَكِنَّ الْجَمِيلَةَ أَصَرَّتْ عَلَى رَأْيِهَا. وَ فِي الصَّبَاحِ رَكِبَتْ حِصَانَهُ الَّذِي قَادَهَا مُبَاشَرَةً إِلَى قَصْرِ الْوَحْشِ.

مَرَّةً أُخْرَى بَدَا الْمَكَانُ خَالِيًا. دَخَلَتْ، وَ تَجَوَّلَتْ فِي الْقَصْرِ وَ تَفَاجَأَتْ حِينَ رَأَتْ بَابًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ : « غُرْفَةُ الْجَمِيلَةِ ». كَانَ فِي الدَّاخِلِ مَكْتَبَةٌ وَ أَثَاثٌ رَائِعٌ. وَ عِنْدَمَا انْتَصَفَ النَّهَارُ وَجَدَتْ طَاوِلَةً فَاخِرَةً فَأَكَلَتْ وَ هِيَ تُنْصِتُ إِلَى مُوسِيقَى عَذْبَةٍ تَنَاهَتْ إِلَى مَسْمَعِهَا.

مَرَّ النَّهَارُ وَ تَسَاءَلَتْ مَتَى سَيَظْهَرُ الْوَحْشُ. وَ عِنْدَ التَّاسِعَةِ لَيْلًا سَمِعَتْ ضَجِيجًا كَبِيرًا جَعَلَهَا تَرْتَجِفُ. وَصَلَ الْوَحْشُ !سَأَلَ :« أَيُزْعِجُكِ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْكِ وَ أَنْتِ تَتَعَشَّيْنَ ؟»

قَالَتِ الْجَمِيلَةُ فِي رُعْبٍ : « سَيِّدِي اِفْعَلْ مَا تَشَاءُ ».

أَجَابَ الْوَحْشُ: « أَنَا خَادِمُكِ ».

ثُمَّ أَضَافَ : « قُولِي لِي بِصَرَاحَةٍ هَلْ أَبْدُو لَكِ قَبِيحًا ؟ » « إِنَّكَ قَبِيحٌ وَ لَكِنَّكَ طَيِّبٌ . إِنَّكَ تَسْتَقْبِلُنِي كَأَمِيرَةٍ حَقِيقِيَّةٍ . » لَمْ تَعُدْ خَائِفَةً .

فَجْأَةً سَأَلَهَا الْوَحْشُ : « أَتَقْبَلِينَ الزَّوَاجَ مِنِّي ؟ »

« لَا » أَجَابَتْ عَلَى الْفَوْرِ وَ قَدْ فَاجَأَهَا السُّؤَالُ . فَانْصَرَفَ الْوَحْشُ يَمْلَؤُهُ الْحُزْنُ .

مَرَّتِ الْأَيَّامُ، وَ كَانَتْ تُحَضِّرُ لِلْجَمِيلَةِ أَطْيَبَ الْأَطْبَاقِ، وَ فِي الصَّبَاحِ كَانَتْ تَجِدُ مَنَاشِفَ مُوَشَّحَةً بِالذَّهَبِ. وَ كُلَّ مَسَاءٍ كَانَ الْوَحْشُ يَطْلُبُ بِلُطْفٍ : « أَتَقْبَلِينَ الزَّوَاجَ مِنِّي ؟ » وَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ يَتَلَقَّى نَفْسَ الْجَوَابِ الَّذِي يَمْلَؤُهُ حُزْنًا.

وَ فِي إِحْدَى الْأُمْسِيَاتِ قَالَ الْوَحْشُ : « مَا الَّذِي يُمْكِنُنِي أَنْ أَفْعَلَهُ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ إِسْعَادِكِ ؟ »

قَالَتْ : « أُرِيدُ فَقَطْ أَنْ أَرَى أَبِي الْمِسْكِينَ ».

ـ إِذًا عِدِينِي بِأَنَّكِ سَتَعُودِينَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ. خُذِي، بِمُجَرَّدِ أَنْ تَضَعِي هَذَا الْخَاتَمَ السِّحْرِيَّ عَلَى الْمِنْضَدَةِ قُرْبَ سَرِيرِكِ، حَتَّى تُحْمَلِي مِنْ جَدِيدٍ إِلَى هُنَا.

قَالَتِ الْجَمِيلَةُ : « أَعِدُكَ بِذَلِكَ ». ثُمَّ أَحْدَثَ الْوَحْشُ صَوْتًا بِأَصَابِعِهِ، فَعَادَتِ الْجَمِيلَةُ إِلَى وَالِدِهَا.

ضَمَّهَا وَالِدُهَا بِقُوَّةٍ، لَكِنَّ أُخْتَيْهَا لَمْ تَكُونَا سَعِيدَتَيْنِ لِرُؤْيَتِهَا. وَ قَالَتَا : « مَادَامَ يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَعُودَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ فَلْنَعْمَلْ عَلَى أَنْ تَبْقَى هُنَا وَقْتًا أَطْوَلَ، وَ هَكَذَا سَيَنْتَقِمُ الْوَحْشُ، وَ بِالتَّأْكِيدِ سَيَقْتُلُهَا. »

وَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ تَظَاهَرَتَا بِبُكَاءٍ شَدِيدٍ لِفِرَاقِهَا. أَشْفَقَتِ الْجَمِيلَةُ عَلَى أُخْتَيْهَا وَ قَالَتْ لَهُمَا : « كُفَّا عَنِ الْبُكَاءِ سَأَبْقَى بَعْضَ الْوَقْتِ. »

بَعْدَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ رَأَتِ الْجَمِيلَةُ فِي الْحُلْمِ أَنَّ الْوَحْشَ مَاتَ حُزْنًا. وَضَعَتِ الْخَاتَمَ عَلَى الْمِنْضَدَةِ وَ هِيَ فِي غَايَةِ الْقَلَقِ، فَحُمِلَتْ لِتَوِّهَا إِلَى الْقَصْرِ. بَحَثَتْ طَوِيلًا عَنِ الْوَحْشِ وَ وَجَدَتْهُ أَخِيرًا مُلْقًى قُرْبَ جَدْوَلٍ شِبْهَ مَيِّتٍ. رَشَّتْ وَجْهَهُ بِبَعْضِ الْمَاءِ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَ قَالَ لَهَا : « ظَنَنْتُ أَنَّكِ نَسَيْتِنِي، وَ لِهَذَا تَرَكْتُ نَفْسِي تَمُوتُ جُوعًا. قَالَتِ الْجَمِيلَةُ : « لَا، لَا تَمُتْ أَنَا مُوَافِقَةٌ عَلَى الزَّوَاجِ مِنْكَ ». بَعْدَ نُطْقِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ أُضِيءَ الْقَصْرُ وَ انْطَلَقَتِ الْأَلْعَابُ النَّارِيَّةُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

نَظَرَتِ الْجَمِيلَةُ مَبْهُورَةً إِلَى السَّمَاءِ وَ عِنْدَمَا أَنْزَلَتْ بَصَرَهَا تَفَاجَأَتْ بِرُؤْيَةِ أَمِيرٍ جَمِيلٍ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِحُبٍّ فِي مَكَانِ الْوَحْشِ. قَالَتْ : « مَاذَا حَصَلَ لِلْوَحْشِ ؟ » أَجَابَ الْأَمِيرُ الطَّيِّبُ : « إِنَّهُ أَمَامَكِ. كَانَتْ سَاحِرَةٌ شِرِّيرَةٌ قَدْ رَمَتْنِي بِسِحْرٍ فَرَضَ عَلَيَّ ذَلِكَ الشَّكْلَ إِلَى يَوْمٍ تَأْتِي فِيهِ فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ تَقْبَلُ الزَّوَاجَ مِنِّي. »

وَ هَكَذَا تَزَوَّجَتِ الْجَمِيلَةُ مِنَ الْوَحْشِ فِي عُرْسٍ بَهِيجٍ وَ عَاشَا طَوِيلًا فِي سَعَادَةٍ.

الوَلّاعَةُ

(مقتبس من حكايات هانس كريستيان أندرسن)

كَانَ يَا مَا كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، جُنْدِيٌّ شُجَاعٌ عَائِدٌ مِنَ الْحَرْبِ إِلَى بَيْتِهِ، الْتَقَى فِي الطَّرِيقِ سَاحِرَةً شِرِّيرَةً. كَانَ أَنْفُهَا مَعْقُوفًا، وَ شَفَتَاهَا مُتَدَلِّيَتَيْنِ. قَالَتْ لَهُ : « مَسَاءَ الْخَيْرِ أَيُّهَا الْجُنْدِيُّ، كَمْ أَنْتَ جَمِيلٌ، وَ تَبْدُو جُنْدِيًّا حَقِيقِيًّا. سَأُعْطِيكَ مَا تَشَاءُ مِنَ الْمَالِ. وَ لَكِنْ قَبْلَ ذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ تُنْجِزَ عَمَلًا مُثِيرًا. تَسَلَّقْ أَعْلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ. إِنَّهَا خَاوِيَةُ الْجِذْعِ، وَ هُنَاكَ سَتَجِدُ تَجْوِيفًا، عَلَيْكَ أَنْ تَنْزِلَقَ فِيهِ. فِي الدَّاخِلِ سَتَتْبَعُ رِوَاقًا فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ سِحْرِيٌّ، لِأَنَّهُ مُضَاءٌ بِمِائَةِ مِصْبَاحٍ. فِي نِهَايَةِ الرِّوَاقِ سَتُلَاحِظُ ثَلَاثَةَ أَبْوَابٍ وَرَاءَهَا تَخْتَبِئُ ثَلَاثَةُ كُنُوزٍ.

لَكِنْ حَذَارِ ! فَأَمَامَ كُلِّ بَابٍ يُوجَدُ كَلْبٌ شَرِسٌ. خَاطِبْهَا بِلُطْفٍ فَلَنْ تَضُرَّكَ. يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْخُذَ كُلَّ الْمَالِ الَّذِي تُرِيدُ وَ بِالْمُقَابِلِ عَلَيْكَ أَنْ تَجْلِبَ لِي وَلَّاعَةً كَانَتْ جَدَّتِي قَدْ نَسِيَتْهَا خِلَالَ زِيَارَتِهَا الْأَخِيرَةِ ». وَ هَكَذَا كَانَ الْحَالُ.

تَسَلَّقَ الْجُنْدِيُّ الشُّجَاعُ الشَّجَرَةَ وَ انْزَلَقَ فِي تَجْوِيفِ الْجِذْعِ وَ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي رِوَاقٍ كَبِيرٍ حَيْثُ كَانَتْ عِنْدَ نِهَايَتِهِ ثَلَاثَةُ كِلَابٍ. « إِنَّكَ وَلَدٌ جَمِيلٌ »، قَالَ لِلْكَلْبِ الْأَوَّلِ وَ أَخَذَ الْكَنْزَ الْأَوَّلَ. وَ قَالَ لِلْكَلْبِ الثَّانِي : « حَذَارِ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيَّ بِحِدَّةٍ كَبِيرَةٍ، قَدْ تُلْحِقُ الضَّرَرَ بِعَيْنَيْكَ ». وَ تَمَكَّنَ مِنَ الْكَنْزِ الثَّانِي. وَ أَمَامَ الْكَلْبِ الثَّالِثِ، أَدَّى التَّحِيَّةَ الْعَسْكَرِيَّةَ قَائِلًا : « مَسَاءَ الْخَيْرِ » وَ أَخَذَ الْكَنْزَ الثَّالِثَ. وَ قَبْلَ أَنْ يَصْعَدَ الْتَقَطَ الْعَسْكَرِيُّ الْوَلَّاعَةَ الَّتِي كَانَتْ مُلْقَاةً هُنَاكَ.

فَاضَتْ جُيُوبُهُ بِقِطَعِ النُّحَاسِ وَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ، وَ عِنْدَمَا خَرَجَ مِنَ الشَّجَرَةِ سَأَلَ السَّاحِرَةَ : « مَعِي وَلَّاعَتُكَ، لَكِنْ مَاذَا سَتَفْعَلِينَ بِهَا ؟ » رَفَضَتِ الْعَجُوزُ أَنْ تُجِيبَ. فَأَخْرَجَ الْعَسْكَرِيُّ سَيْفَهُ وَ قَضَى عَلَيْهَا. حَمَلَ كُلَّ مَالِهِ عَلَى ظَهْرِهِ وَ وَضَعَ الْوَلَّاعَةَ فِي جَيْبِهِ وَ قَصَدَ الْمَدِينَةَ.

قَضَى فِي الْمَدِينَةِ حَيَاةً سَعِيدَةً لِبَعْضِ الْوَقْتِ. كَانَ يَذْهَبُ لِحُضُورِ الْاسْتِعْرَاضَاتِ وَ يَزُورُ حَدَائِقَ الْمَلِكِ بِالْمَرْكَبَةِ، وَ كَانَ يَتَصَدَّقُ كَثِيرًا، وَ قَدْ أَحَبَّهُ كُلُّ النَّاسِ. لَكِنَّ الْعَسْكَرِيَّ الشُّجَاعَ كَانَ حَزِينًا جِدًّا، كَانَ يُفَكِّرُ فِي فَتَاةٍ خَارِقَةِ الْجَمَالِ، كَانَ يَسْمَعُ أَنَّ هُنَاكَ فِي أَحَدِ قُصُورِ النُّحَاسِ تَعِيشُ ابْنَةُ الْمَلِكِ الَّتِي مُنِعَتْ زِيَارَتُهَا عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ، تَمَّ الْغَلْقُ عَلَيْهَا فِي الْقَصْرِ بِسَبَبِ نُبُوءَةٍ تَقُولُ إِنَّهَا سَتَتَزَوَّجُ جُنْدِيًّا بَسِيطًا، وَ هُوَ مَا أَغْضَبَ الْمَلِكَ الَّذِي قَرَّرَ سَجْنَهَا وَرَاءَ الْقِلَاعِ الْعَالِيَةِ وَ الْأَسْوَارِ الْوَاسِعَةِ.

كَانَ الْجُنْدِيُّ الْمِسْكِينُ ثَرِيًّا وَ تَعِيسًا ! وَ لَمَّا كَانَ يُنْفِقُ كُلَّ يَوْمٍ مَالَهُ دُونَ حِسَابٍ اِكْتَشَفَ فِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ غَيْرُ دِرْهَمَيْنِ. الْوَدَاعَ أَيَّتُهَا الثِّيَابُ الْجَمِيلَةُ وَ الْأَطْبَاقُ الْفَاخِرَةُ ! اِضْطَرَّ جُنْدِيُّنَا إِلَى السَّكَنِ فِي غُرْفَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَى السُّطُوحِ. وَ فِي إِحْدَى الْأُمْسِيَاتِ الْمُظْلِمَةِ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ حَتَّى ثَمَنَ شِرَاءِ شَمْعَةٍ. وَفَجْأَةً تَذَكَّرَ وَلَّاعَةَ الشَّجَرَةِ الْخَاوِيَةِ.

أَخَذَهَا إِذَنْ، وَ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي صَعَدَتِ الشَّرَارَاتُ الْأُولَى مِنَ الْوَلَّاعَةِ اِنْفَتَحَتِ الْبَابُ فَجْأَةً وَ دَخَلَ الْكَلْبُ الْأَوَّلُ : « سَيِّدِي بِمَاذَا تَأْمُرُ ؟ »

« مَا هَذَا ؟! »، صَاحَ الْجُنْدِيُّ، « إِنَّهَا وَلَّاعَةٌ غَرِيبَةٌ !، أَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِي مَا أُرِيدُ ؟.. بِسُرْعَةٍ أَحْضِرْ لِي الْمَالَ وَ أَحْضِرْ لِي الْأَمِيرَةَ الْجَمِيلَةَ ! »

صَارَ الْجُنْدِيُّ يَعْرِفُ أَيَّةَ وَ لَّاعَةٍ ثَمِينَةٍ يَمْلِكُ. إِنْ ضَغَطَ عَلَيْهَا مَرَّةً وَاحِدَةً يَظْهَرُ الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ يَحْرُسُ صَنَادِيقَ الْقِطَعِ النُّحَاسِيَّةِ. عِنْدَمَا يَضْغَطُ عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ يَظْهَرُ الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ يَحْرُسُ صَنَادِيقَ الْفِضَّةِ. وَ عِنْدَمَا يَضْغَطُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَظْهَرُ الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ يَحْرُسُ صَنَادِيقَ الذَّهَبِ. عَادَ الْكَلْبُ الْأَوَّلُ بِسُرْعَةٍ حَامِلًا فِي فَمِّهِ كِيسًا كَبِيرًا مَلِيئًا بِالذَّهَبِ و َالْفِضَّةِ وَ الْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ.

عَادَ الشَّابُّ إِلَى غُرْفَتِهِ الصَّغِيرَةِ وَ لَبِسَ ثِيَابَهُ الْجَمِيلَةَ. وَ لَمْ يَكَدْ يَنْتَهِي مِنْ تَصْلِيحِ شَأْنِهِ حَتَّى دَخَلَ الْكَلْبُ الثَّانِي وَ عَلَى ظَهْرِهِ الْأَمِيرَةُ الْجَمِيلَةُ. وَ فِي الْمَسَاءِ أَعَادَ الْكَلْبُ الْأَمِيرَةَ الْجَمِيلَةَ إِلَى الْقَصْرِ النُّحَاسِيِّ.

عَادَتْ فِي الْغَدِ وَ بَعْدَهُ وَ فِي كُلِّ الْأَيَّامِ. غَيْرَ أَنَّ الْمَلِكَ الْغَيُورَ جِدًّا تَفَطَّنَ لِلْحَرَكَةِ وَ جَعَلَ إِحْدَى الْوَصِيفَاتِ تَتْبَعُ ابْنَتَهُ. أُلْقِيَ الْقَبْضُ عَلَى الْجُنْدِيِّ وَأُدْخِلَ الزُّنْزَانَةَ عَلَى أَنْ يُشْنَقَ فِي الْيَوْمِ الْمُوَالِي. لِحُسْنِ الْحَظِّ لَمْ يَنْسَ جُنْدِيُّنَا الشُّجَاعُ وَلَّاعَتَهُ السِّحْرِيَّةَ... وَ سَتَعْرِفُونَ الْآنَ بَقِيَّةَ الْقِصَّةِ !

تَمَّ خَارِجَ الْمَدِينَةِ نَصْبُ مِشْنَقَةٍ كَبِيرَةٍ وَ كَانَ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ شَخْصٍ مُتَحَلِّقِينَ حَوْلَهَا. وَ جَلَسَ الْمَلِكُ وَ الْمَلِكَةُ عَلَى عَرْشٍ فَخْمٍ. كَانَ الْعَسْكَرِيُّ فِي أَسْفَلِ السُّلَّمِ وَ كَانُوا سَيَضَعُونَ الْأُنْشُوطَةَ حَوْلَ عُنُقِهِ عِنْدَمَا طَلَبَ أَنْ يُسْمَحَ لَهُ بِتَدْخِينِ غَلْيُونٍ أَخِيرٍ. لَمْ يَكُنْ فِي وُسْعِ الْمَلِكِ أَنْ يَرْفُضَ لَهُ ذَلِكَ. أَخْرَجَ الْجُنْدِيُّ وَلَّاعَتَهُ وَ ضَغَطَ عَلَيْهَا مَرَّةً ثُمَّ اثْنَتَيْنِ ثُمَّ ثَلَاثًا !

وَ هَكَذَا فَجْأَةً ظَهَرَتِ الْكِلَابُ الثَّلَاثَةُ. صَاحَ الشَّابُّ : « أَنْقِذُونِي سَيَشْنِقُونَنِي ! »، فَهَاجَمَتِ الْكِلَابُ الْكَبِيرَةُ الْمَلِكَ وَ الْمَلِكَةَ وَ أَخَذَتْهُمَا بَعِيدًا جِدًّا. وَ خَافَ النَّاسُ وَ صَاحَ الشَّعْبُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ : « أَيُّهَا الْجُنْدِيُّ الصَّغِيرُ سَتَكُونُ مَلِكَنَا الطَّيِّبَ وَ سَتَتَزَوَّجُ الْأَمِيرَةَ الْجَمِيلَةَ. »

دَامَ الْعُرْسُ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ وَ حَضَرَ الْوَلِيمَةَ الْكِلَابُ الثَّلَاثَةُ. عَاشَ الْجُنْدِيُّ الشُّجَاعُ وَ الْأَمِيرَةُ الْجَمِيلَةُ فِي سَعَادَةٍ حَتَّى نِهَايَةِ حَيَاتِهِمَا وَ كَانَتْ لَهُمَا ذُرِّيَّةٌ كَثِيرَةٌ.

الْحِصَانُ الْعَجِيبُ

(مقتبس من حكايات ألف ليلة و ليلة)

فِي زَمَنٍ بَعِيدٍ، اِعْتَادَ مَلِكُ الْفُرْسِ أَنْ يَسْتَقْبِلَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ كُلَّ شَخْصٍ يُرِيدُ رُؤْيَتَهُ. وَ فِي إِحْدَى السَّنَوَاتِ جَاءَهُ هِنْدِيٌّ مَاسِكًا لِجَامَ حِصَانِهِ وَ انْحَنَى أَمَامَ عَرْشِهِ وَ قَالَ: « صَاحِبَ الْجَلَالَةِ، أُحِبُّ أَنْ أُقَدِّمَ لَكُمْ أُعْجُوبَةً صَنَعْتُهَا خِلَالَ سَنَوَاتٍ مِنَ الْكَدِّ. هَذَا الْحِصَانُ مِيكَانِكِيٌّ : يُمْكِنُهُ أَنْ يَطِيرَ وَ أَنْ يَحْمِلَ رَاكِبَهُ فِي لَحْظَةٍ إِلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنَ الْعَالَمِ ».

صَاحَ الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ فَيْرُوزُ الَّذِي كَانَ بِجَانِبِ وَالِدِهِ : « أُرِيدُ أَنْ أُجَرِّبَ هَذَا الْحِصَانَ ! »

وَ قَفَزَ عَلَى السَّرْجِ. « حَتَّى تَجْعَلَهُ يَشْتَغِلُ يَا صَاحِبَ السُّمُوِّ يَكْفِي أَنْ تَضْغَطَ عَلَى الزِّرِّ الَّذِي عَلَى يَسَارِكَ ثُمَّ ... » وَ قَبْلَ أَنْ يُكْمِلَ الْمُخْتَرِعُ شَرْحَهُ كَانَ الْأَمِيرُ قَدْ ضَغَطَ عَلَى الزِّرِّ. وَ فِي قَفْزَةٍ انْطَلَقَ الْحِصَانُ فِي الْفَضَاءِ وَ اخْتَفَى.

صَاحَ الْمَلِكُ: « أَيُّهَا الْبَائِسُ، لَمْ تُكَلِّفْ نَفْسَكَ حَتَّى أَنْ تَشْرَحَ لِابْنِي كَيْفَ يَعُودُ. إِذَا لَمْ يَعُدِ الْأَمِيرُ فِي غُضُونِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ سَأُعْدِمُكَ، أَيُّهَا الْحُرَّاسُ خُذُوهُ إِلَى السِّجْنِ ! »

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ يَجُوبُ فَوْقَ السُّهُولِ وَ الْجِبَالِ وَ الْمُدُنِ وَ الْقُرَى مُنْبَهِرًا. حَتَّى وَصَلَ أَمَامَ قَصْرٍ رَائِعٍ وَسَطَ الْحَدَائِقِ وَ الْيَنَابِيعِ. تَمَكَّنَ الشَّابُّ أَنْ يَحُطَّ بِرِفْقٍ فِي بُسْتَانِ أَشْجَارِ اللَّوْزِ.

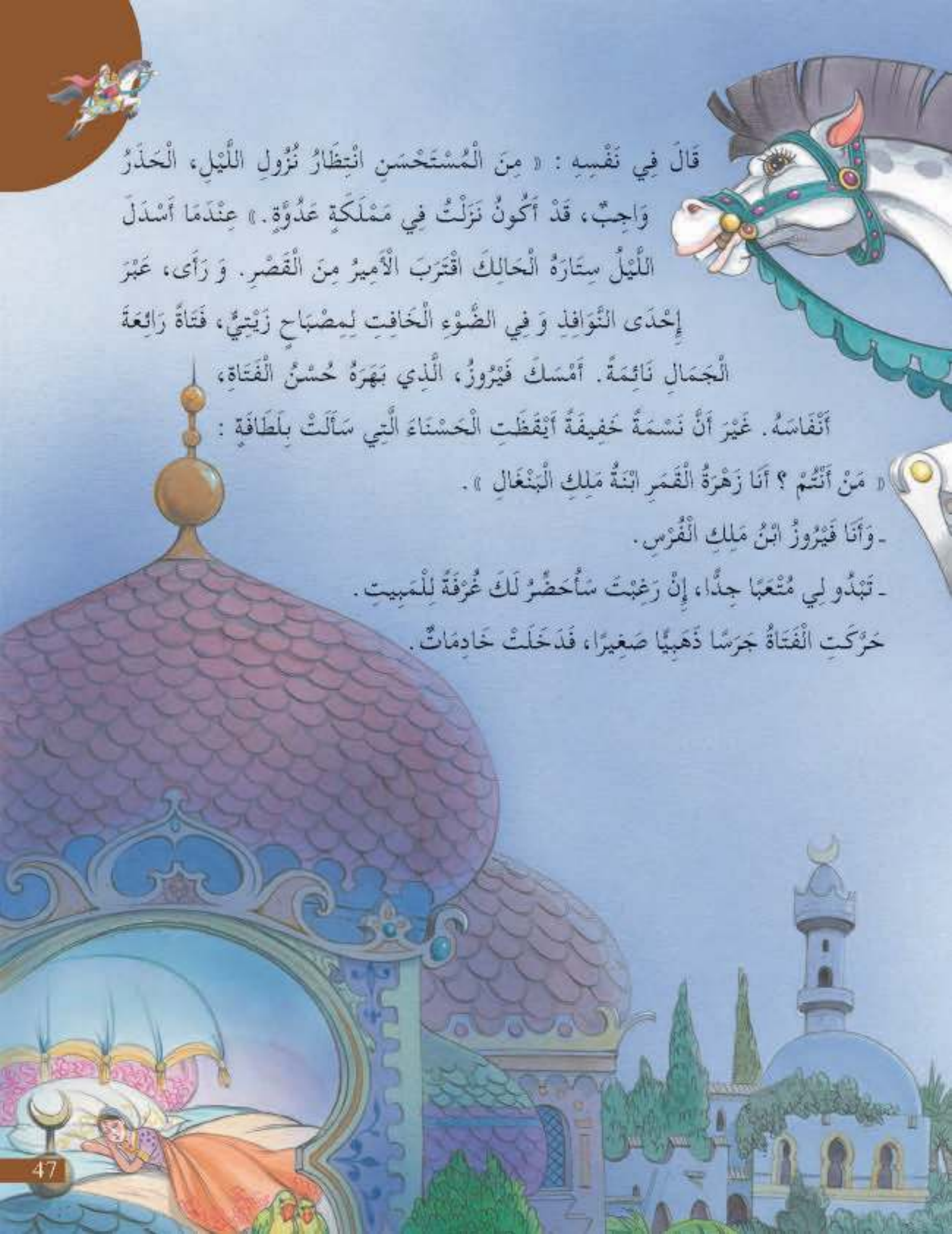

قَالَ فِي نَفْسِهِ : « مِنَ الْمُسْتَحْسَنِ انْتِظَارُ نُزُولِ اللَّيْلِ، الْحَذَرُ وَاجِبٌ، قَدْ أَكُونُ نَزَلْتُ فِي مَمْلَكَةٍ عَدُوَّةٍ. » عِنْدَمَا أَسْدَلَ اللَّيْلُ سِتَارَهُ الْحَالِكَ اقْتَرَبَ الْأَمِيرُ مِنَ الْقَصْرِ. وَ رَأَى، عَبْرَ إِحْدَى النَّوَافِذِ وَ فِي الضَّوْءِ الْخَافِتِ لِمِصْبَاحٍ زَيْتِيٍّ، فَتَاةً رَائِعَةَ الْجَمَالِ نَائِمَةً. أَمْسَكَ فَيْرُوزُ، الَّذِي بَهَرَهُ حُسْنُ الْفَتَاةِ، أَنْفَاسَهُ. غَيْرَ أَنَّ نَسْمَةً خَفِيفَةً أَيْقَظَتِ الْحَسْنَاءَ الَّتِي سَأَلَتْ بِلَطَافَةٍ :

« مَنْ أَنْتُمْ ؟ أَنَا زَهْرَةُ الْقَمَرِ ابْنَةُ مَلِكِ الْبَنْغَالِ ».

ـ وَأَنَا فَيْرُوزُ ابْنُ مَلِكِ الْفُرْسِ.

ـ تَبْدُو لِي مُتْعَبًا جِدًّا، إِنْ رَغِبْتَ سَأُحَضِّرُ لَكَ غُرْفَةً لِلْمَبِيتِ.

حَرَّكَتِ الْفَتَاةُ جَرَسًا ذَهَبِيًّا صَغِيرًا، فَدَخَلَتْ خَادِمَاتٌ.

« رَافِقْنَ الْأَمِيرَ لِلْجَنَاحِ الْأَزْرَقِ السَّمَاوِيِّ. دُونَ شَكٍّ أَنَّكَ مُنْهَكٌ يَا أَمِيرُ، لَيْلَةً سَعِيدَةً ! »

لَمْ يَتَمَكَّنْ فَيْرُوزُ مِنَ النَّوْمِ مِنْ شِدَّةِ اضْطِرَابِهِ لِرُؤْيَةِ الْأَمِيرَةِ. وَ فِي الصَّبَاحِ قَصَّ مُغَامَرَتَهُ عَلَى الْأَمِيرَةِ وَ أَضَافَ : « أَرْغَبُ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى مَمْلَكَةِ وَالِدِي لَكِنَّ أُمْنِيَتِي الْكُبْرَى أَنْ تُرَافِقِينِي وَ أَنْ تُصْبِحِي زَوْجَتِي ».

وَافَقَتْ زَهْرَةُ الْقَمَرِ، وَ رَكِبَ الشَّابَّانِ الْحِصَانَ الْمِيكَانِيكِيَّ.

عِنْدَمَا رَأَى مَلِكُ الْفُرْسِ ابْنَهُ عَائِدًا رُفْقَةَ تِلْكَ الْخَطِيبَةِ الْجَمِيلَةِ تَمَلَّكَهُ فَرَحٌ عَارِمٌ.

« فَلْنُحْضِرْ وَلِيمَةً كَبِيرَةً، وَ لْيَخْرُجِ الْمُخْتَرِعُ مِنَ السِّجْنِ و لِيَخْتَفِ إِلَى الْأَبَدِ. »

أَقْسَمَ الْمُخْتَرِعُ الَّذِي شَعَرَ بِالْإِهَانَةِ عَلَى الِانْتِقَامِ، وَ طَلَبَ أَنْ يُقَادَ إِلَى جَنَاحِ الْأَمِيرَةِ، وَ رَافَقَتْهُ الْأَمِيرَةُ إِلَى شُرْفَةِ الْقَصْرِ دُونَ أَنْ تَشُكَّ فِي نَوَايَاهُ. وَ فَجْأَةً أَمْسَكَ بِهَا وَ وَضَعَهَا عَلَى الْحِصَانِ الْمِيكَانِيكِيِّ وَ اخْتَفَى بِهَا فِي الْفَضَاءِ.

وَ مَا أَنْ عَلِمَ الْأَمِيرُ فَيْرُوزُ بِالْخَبَرِ حَتَّى غَمَّتْهُ حَسْرَةٌ لَا تُوصَفُ، ثُمَّ عَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى الْعُثُورِ عَلَى أَمِيرَتِهِ وَ انْطَلَقَ لِتَوِّهِ.

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَصَلَ الْمُخْتَرِعُ وَ الْأَمِيرَةُ إِلَى مَمْلَكَةِ الْكَشْمِيرِ وَ نَزَلَا فِي غَابَةٍ وَاسِعَةٍ.

قَالَ لَهَا الرَّجُلُ : « اِنْتَظِرِينِي هُنَا سَأَذْهَبُ لِلْبَحْثِ عَنْ طَعَامٍ. »

بَدَأَتِ الْأَمِيرَةُ تَجْهَشُ مِنَ الْيَأْسِ فَلَفَتَ صَوْتُهَا مَلِكَ الْكَشْمِيرِ الَّذِي كَانَ يَصْطَادُ مَعَ حَاشِيَتِهِ فِي تِلْكَ الْغَابَةِ. اِنْحَنَتْ عِنْدَ أَقْدَامِ الْمَلِكِ وَ هِيَ تَقُولُ : « أَنْقِذْنِي، لَقَدِ اخْتَطَفَنِي شَقِيٌّ ». فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالذَّاتِ رَجَعَ الرَّجُلُ فَأَمْسَكَ بِهِ الصَّيَّادُونَ. وَ عَلَى الرَّغْمِ مِنِ احْتِجَاجَاتِهِ قَتَلُوهُ.

شَكَرَتِ الْأَمِيرَةُ مُنْقِذَهَا وَ طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَأْمُرَ بِحَمْلِ الْحِصَانِ الْمِيكَانِيكِيِّ إِلَى قَصْرِهِ.

قَرَّرَ الْمَلِكُ، الَّذِي فَتَنَهُ جَمَالُهَا، أَنْ يُبْقِيَهَا فِي مَمْلَكَتِهِ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ. أَقَامَ حَفَلَاتٍ وَ وَلَائِمَ فَخْمَةً عَلَى شَرَفِهَا. لَكِنَّ الْأَمِيرَةَ كَانَتْ تَذُوبُ عَلَى مَرْأَى الْعَيْنِ ؛ كَانَتْ تُفَكِّرُ فِي الْأَمِيرِ فَيْرُوزَ فَقَطْ. قَالَ لَهَا مَلِكُ الْكَشْمِيرِ : « لَقَدْ أَنْقَذْتُ حَيَاتَكِ فَلِي عَلَيْكِ كُلُّ الْحُقُوقِ. إِنْ لَمْ تُوَافِقِي عَلَى الزَّوَاجِ مِنِّي سَتَبْقَيْنَ مَسْجُونَةً هُنَا إِلَى الْأَبَدِ. »

يَائِسَةً مِنْ حَالِهَا، لَجَأَتِ الْفَتَاةُ إِلَى الْحِيلَةِ، فَادَّعَتِ الْجُنُونَ. وَ عِنْدَمَا جَاءَ الْمَلِكُ لِزِيَارَتِهَا صَرَخَتْ وَ ضَرَبَتْ بِرِجْلِهَا الْأَرْضَ. اِسْتَغْرَبَ الْمَلِكُ هَذَا التَّغَيُّرَ الْمُفَاجِئَ وَ جَلَبَ مِنْ أَجْلِهَا أَشْهَرَ أَطِبَّاءِ الْمَمْلَكَةِ، لَكِنْ لَا وَاحِدَ مِنْهُمْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُشْفِيَهَا.

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَصَلَ الْأَمِيرُ فَيْرُوزُ، الَّذِي كَانَ يُسَافِرُ مُتَنَكِّرًا، إِلَى عَاصِمَةِ الْكَشْمِيرِ.
وَ كَانَ حَدِيثُ الْعَامِّ وَ الْخَاصِّ يَدُورُ حَوْلَ مَرَضِ الْأَمِيرَةِ الْمِسْكِينَةِ. قَالَ فَيْرُوزُ فِي نَفْسِهِ :
« لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَتْرُكَهَا فِي هَذِهِ الْحَالِ. سَأُعِيدُهَا إِلَى مَمْلَكَةِ وَالِدِهَا وَ سَأَشْفِيهَا بِعِلَاجِي وَ حُبِّي ».
أَلْصَقَ عَلَى ذَقْنِهِ لِحْيَةً مُصْطَنَعَةً وَ ارْتَدَى عَبَاءَةً طَوِيلَةً كَتِلْكَ الَّتِي يَلْبَسُهَا الْأَطِبَّاءُ وَ تَقَدَّمَ إِلَى الْقَصْرِ. عِنْدَ رُؤْيَتِهِ رَاحَتِ الْأَمِيرَةُ تُطْلِقُ صَرَخَاتٍ حَادَّةً. قَالَ الطَّبِيبُ الْمَزْعُومُ :
« اُتْرُكُونَا وَحْدَنَا ». وَ بَعْدَ خُرُوجِ مَنْ كَانَ فِي الْحُجْرَةِ نَزَعَ الْأَمِيرُ لِحْيَتَهُ الْمُصْطَنَعَةَ فَتَعَرَّفَتْ عَلَيْهِ الْأَمِيرَةُ، فَقَالَ لَهَا : « يَجِبُ أَنْ نَهْرُبَ. لَدَيَّ فِكْرَةٌ، اُتْرُكِينِي أَتَصَرَّفُ ».
ذَهَبَ فَيْرُوزُ إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ يَنْتَظِرُهُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ وَ قَالَ لَهُ : « إِنَّ هَذِهِ الْحَسْنَاءَ ضَحِيَّةُ سِحْرٍ مَلْعُونٍ. اَحْضِرُوا لِي الْحِصَانَ الْمِيكَانِيكِيَّ إِلَى السَّاحَةِ الْكُبْرَى غَدًا، وَ هَاتُوا كُومَةَ حَطَبٍ، وَ عِنْدَمَا أُحْرِقُ الْحِصَانَ سَيَزُولُ السِّحْرُ وَسَتُشْفَى الْأَمِيرَةُ. »

وَ فِي الصَّبَاحِ تَمَّتْ تَلْبِيَةُ طَلَبِ الطَّبِيبِ الْمَزْعُومِ. سَاعَدَ فَيْرُوزُ الْأَمِيرَةَ عَلَى رُكُوبِ الْحِصَانِ، ثُمَّ أَشْعَلَ الْحَطَبَ وَ رَمَى فِيهِ الْمَسْحُوقَ الْأَسْوَدَ وَ هُوَ يُتَمْتِمُ بِتَعْوِيذَاتٍ سِحْرِيَّةٍ. تَصَاعَدَ دُخَانٌ كَثِيفٌ فِي الْفَضَاءِ. وَ شَاهَدَ مَلِكُ الْكَشْمِيرِ مَذْهُولًا الْحِصَانَ الْمِيكَانِيكِيَّ يَرْتَفِعُ فَوْقَ الدُّخَانِ آخِذًا فَيْرُوزَ وَ زَهْرَةَ الْقَمَرِ نَحْوَ الْحُرِّيَّةِ وَ السَّعَادَةِ.

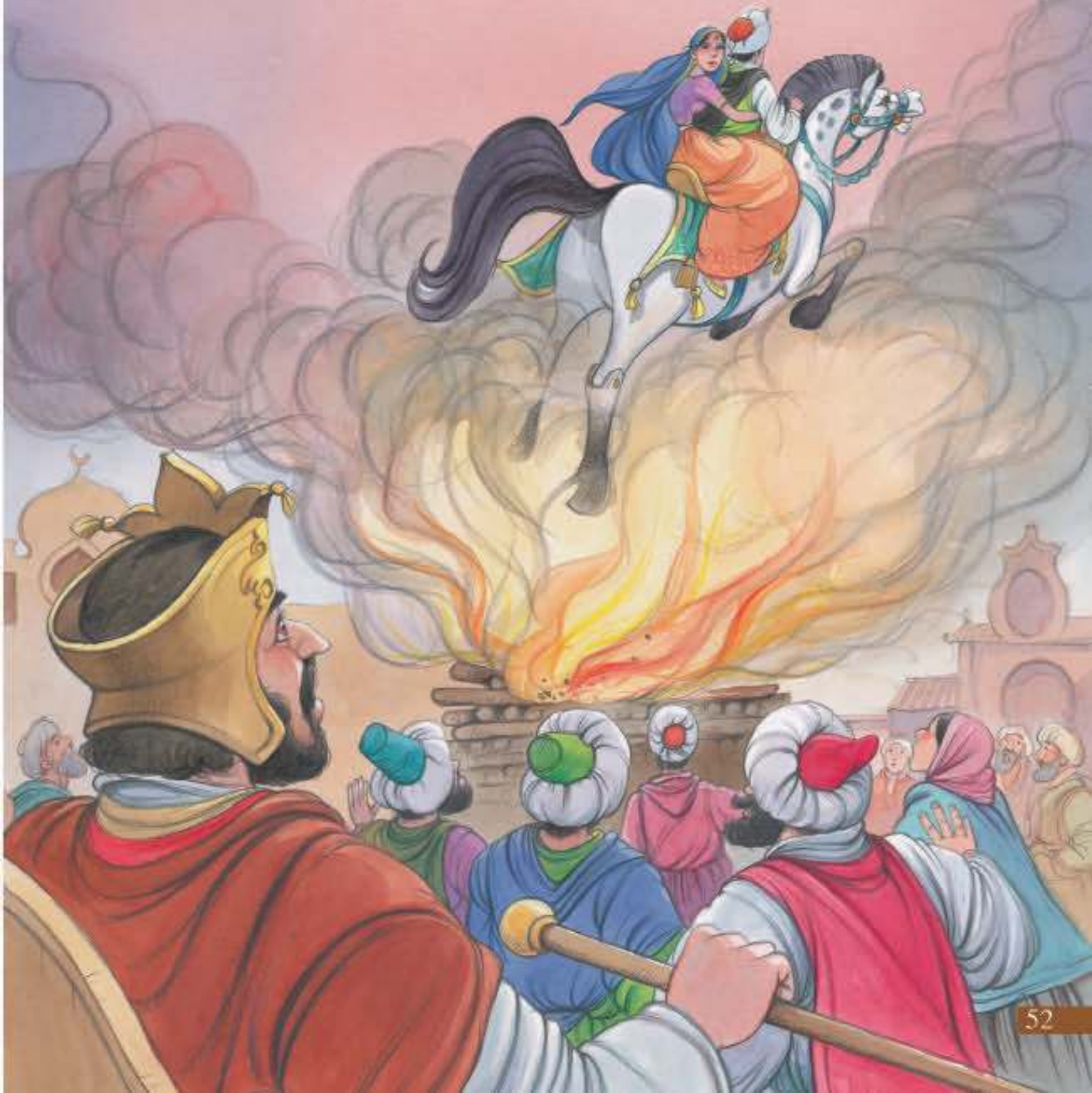

الْبَجَعَاتُ الْبَرِّيَّةُ

(مقتبس من حكايات هانس كريستيان أندرسن)

فِي بَلَدٍ بَعِيدٍ كَانَ يَعِيشُ مَلِكٌ لَهُ أَحَدَ عَشَرَ وَلَدًا وَ بِنْتٌ وَاحِدَةٌ اسْمُهَا إِيلِيزَا. كَانُوا يَعِيشُونَ فِي سَعَادَةٍ بِقَصْرِ وَالِدِهِمْ. لَكِنْ - لِلْأَسَفِ - فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ تُوُفِّيَتْ زَوْجَةُ الْمَلِكِ.

تَزَوَّجَ الْمَلِكُ مِن امْرَأَةٍ شِرِّيرَةٍ، حَقَدَتْ مِنَ الْوَهْلَةِ الْأُولَى عَلَى الْأَطْفَالِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ. وَ لِكَيْ تَتَخَلَّصَ مِنْهُمْ قَرَّرَتْ أَنْ تُرْسِلَ الْبِنْتَ الصَّغِيرَةَ إِلَى الرِّيفِ. وَ لِكَثْرَةِ مَا تَكَلَّمَتْ بِالسُّوءِ عَنِ الْأَوْلَادِ فَقَدَ الْمَلِكُ الِاهْتِمَامَ بِهِمْ.

وَ لَكِنَّ هَذَا لَمْ يَكْفِهَا بَلْ كَانَتْ تُرِيدُ إِبْعَادَهُمْ نِهَائِيًّا. وَ هَكَذَا فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ رَمَتْهُمْ بِسِحْرٍ، إِذْ كَانَتْ سَاحِرَةً، وَ قَالَتْ : « فَلْتَتَحَوَّلُوا إِلَى طُيُورٍ وَ تَفْقِدُوا الْكَلَامَ ! » فَتَحَوَّلَ الْأُمَرَاءُ إِلَى إِحْدَى عَشَرَ بَجَعَةً بَرِّيَّةً جَمِيلَةً وَ طَارُوا لِتَوِّهِمْ.

عِنْدَمَا صَارَ عُمْرُ إِيلِيزَا خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا، أَرْسَلَ أَبُوهَا فِي طَلَبِهَا فَقَدْ كَانَ يُرِيدُ رُؤْيَتَهَا. عَمِلَتِ الْمَلِكَةُ عَلَى أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَسْتَقْبِلُهَا. فَدَبَغَتْهَا بِقِشْرِ الْجَوْزِ الْأَخْضَرِ وَ نَفَشَتْ لَهَا شَعْرَهَا إِلَى حَدٍّ أَنَّ أَبَاهَا لَمْ يَتَعَرَّفْ عَلَيْهَا. غَادَرَتِ الْبِنْتُ الْقَصْرَ حَزِينَةً جِدًّا، وَ مَشَتْ طِيلَةَ الْيَوْمِ عَبْرَ الْحُقُولِ.

فِي الْمَسَاءِ وَصَلَتْ إِلَى غَابَةٍ كَثِيفَةٍ حَيْثُ نَامَتْ. عِنْدَمَا اِسْتَيْقَظَتْ وَجَدَتْ نَبْعًا مِنَ الْمَاءِ الصَّافِي. اِقْتَرَبَتْ مِنَ الْمَاءِ وَ غَطَسَتْ فِيهِ وَ عَادَتِ الْأَمِيرَةُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي كَانَتْ. اِلْتَقَتْ بِامْرَأَةٍ طَاعِنَةٍ فِي السِّنِّ وَ سَأَلَتْهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ قَدْ رَأَتْ إِحْدَى عَشَرَ أَمِيرًا عَلَى خَيْلِهِمْ فِي الْغَابَةِ.

أَجَابَتِ الْعَجُوزُ بِأَنَّهَا لَمْ تَرَ ذَلِكَ وَ لَكِنَّهَا رَأَتْ إِحْدَى عَشَرَةَ بَجَعَةً عَلَى رُؤُوسِهَا تِيجَانٌ ذَهَبِيَّةٌ عَلَى ضَفَّةِ الْمَاءِ. تَبِعَتِ الْبِنْتُ النَّهْرَ حَتَّى مَصَبِّهِ فِي الْبَحْرِ. فَوَجَدَتْ عَلَى الشَّاطِئِ إِحْدَى عَشَرَةَ رِيشَةً لِلْبَجَعِ الْأَبْيَضِ فَشَكَّلَتْ مِنْهَا بَاقَةً. وَ عِنْدَ الْأَصِيلِ رَأَتْ إِيلِيزَا إِحْدَى عَشَرَةَ بَجَعَةً بِتِيجَانٍ ذَهَبِيَّةٍ تَطِيرُ كَأَنَّهَا شَرِيطٌ طَوِيلٌ أَبْيَضُ.

حَطَّ الْبَجَعُ قُرْبَهَا، وَ بِمُجَرَّدِ أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَطَايَرَ رِيشُهَا وَ صَارَتْ أَحَدَ عَشَرَ أَمِيرًا جَمِيلًا. تَعَرَّفَ الْأُمَرَاءُ عَلَى أُخْتِهِمُ الْكُبْرَى الْحَسْنَاءَ. وَ شَرَحَ أَكْبَرُهُمْ لِإِيلِيزَا بِأَنَّهُمْ يَسْتَعِيدُونَ هَيْأَتَهُمُ الآدَمِيَّةَ فَقَطْ مَعَ حُلُولِ اللَّيْلِ. وَ أَضَافَ : « نَسْكُنُ عَلَى الضِّفَّةِ الْأُخْرَى مِنَ الْبَحْرِ، وَ لَا يُمْكِنُنَا الْعَوْدَةَ لِبَلَدِنَا الْعَزِيزِ إِلَّا خِلَالَ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا. »

ذَهَبَتْ إِيلِيزَا مَعَ إِخْوَتِهَا الَّذِينَ صَنَعُوا شَبَكَةً مِنَ الْخَيْزُرَانِ لِنَقْلِهَا، وَ عِنْدَمَا طَلَعَ النَّهَارُ طَارُوا مُمْسِكِينَ الشَّبَكَةَ بِمَنَاقِيرِهِمْ وَ طَارُوا كُلَّ النَّهَارِ. وَ مَعَ أَنَّ وَزْنَ إِيلِيزَا أَبْطَأَ طَيَرَانَهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ قَبْلَ حُلُولِ الظَّلَامِ. كَانُوا مُتْعَبِينَ جِدًّا. وَ سُرْعَانَ مَا نَامَ الْجَمِيعُ.

حَلَمَتْ إِيلِيزَا بِأَنَّهَا تَسْتَطِيعُ تَحْرِيرَ إِخْوَتِهَا مِنَ السِّحْرِ. حَيْثُ ظَهَرَتْ لَهَا السَّاحِرَةُ « مُورْغَانْ » فِي الْمَنَامِ وَ قَالَتْ لَهَا مَايَلِي : « تَسْتَطِيعِينَ إِنْقَاذَ إِخْوَتَكِ بِأَنْ تَنْسُجِي لِكُلِّ وَاحِدٍ رِدَاءً بِغُرَزٍ مِنْ نَبَاتِ الْقُرَّاصِ. لَكِنِ احْذَرِي أَنْ تَتَكَلَّمِي قَبْلَ انْتِهَاءِ كُلِّ الْعَمَلِ، وَ إِلَّا كَانَ مَوْتَهُمْ ».

انْطَلَقَتْ إِيلِيزَا فِي الْعَمَلِ لِتَوِّهَا، وَ رَاحَتْ تَحِيكُ الرِّدَاءَاتِ حَتَّى احْتَرَقَتْ يَدَاهَا. اِكْتَشَفَ مَلِكٌ كَانَ يَصْطَادُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الْفَتَاةَ الْجَمِيلَةَ وَهِيَ مُنْهَمِكَةٌ فِي عَمَلِهَا. سَأَلَهَا عَمَّ تَفْعَلُ هُنَاكَ. رَفَضَتْ إِيلِيزَا أَنْ تُجِيبَ، لِأَنَّهَا تَعْرِفُ لَوْ نَطَقَتْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَمُوتُ إِخْوَتُهَا.

تَأَثَّرَ الْمَلِكُ بِحَيْرَةِ الْأَمِيرَةِ فَقَرَّرَ أَخْذَهَا إِلَى قَصْرِهِ. وَ تَزَوَّجَا بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ. وَ لِأَنَّ إِيلِيزَا بَقِيَتْ تَبْكِي وَ تَنُوحُ، فَكَّرَ الْمَلِكُ فِي أَنْ يَجْلِبَ لَهَا الْقُرَّاصَ الَّذِي نَسَجَتْهُ وَ الرِّدَاءَاتِ الَّتِي انْتَهَتْ مِنْهَا، وَ هُوَ يَأْمُلُ تَسْلِيَتَهَا.

مِنْ جِهَتِهِ كَانَ مُسْتَشَارُ الْمَلِكِ يَتَسَاءَلُ عَمَّ إِذَا لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّابَّةُ الصَّمَّاءُ سَاحِرَةً. وَ عِنْدَمَا كَلَّمَ الْمَلِكَ فِي ذَلِكَ رَفَضَ هَذَا الْأَخِيرُ أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَيْهِ. وَ كَانَتْ إِيلِيزَا تُوَاصِلُ نَسْجَ رِدَاءَاتِهَا كُلَّ اللَّيَالِي.

وَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ انْتَهَى مَا كَانَ مَعَهَا مِنْ نَبَاتِ الْقُرَّاصِ، فَقَرَّرَتِ الذَّهَابَ إِلَى الْحَقْلِ لِقَطْفِهِ. كَلَّمَ الْمُسْتَشَارُ الَّذِي كَانَ يُرَاقِبُهَا الْمَلِكَ فَاعْتَقَدَ الْمَلِكُ فِي الْأَخِيرِ أَنَّ إِيلِيزَا سَاحِرَةٌ.

اتُّهِمَتْ بِالسِّحْرِ، وَ حُكِمَ عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ حَرْقًا. وَرَمَوْا مَعَهَا فِي سِجْنِهَا الرِّدَاءَاتِ الْمَنْسُوجَةَ وَمَا تَبَقَّى مِنْ قُرْاصٍ ؛ وَ هَكَذَا اسْتَطَاعَتِ الْأَمِيرَةُ مُوَاصَلَةَ النَّسْجِ رَغْمَ الْأَمَلِ الضَّئِيلِ الَّذِي بَقِيَ لَهَا فِي رُؤْيَةِ إِخْوَتِهَا.

وَ فِي الْيَوْمِ الْمُحَدَّدِ لِتَنْفِيذِ الْحُكْمِ، عَرَفَ إِخْوَتُهَا طَرِيقَهَا، فَتَحَوَّلُوا مِنْ جَدِيدٍ إِلَى بَجَعَاتٍ بَرِّيَّةٍ وَرَاحُوا يَطِيرُونَ حَوْلَ الْعَرَبَةِ الَّتِي كَانَتْ تُقِلُّهَا إِلَى الْمِحْرَقَةِ. وَاصَلَتِ الْمَلِكَةُ نَسْجَ آخِرِ رِدَاءٍ بِيَأْسٍ، شَاحِبَةً جِدًّا وَ شَعْثَاءَ الشَّعْرِ.

صَرَخَ النَّاسُ : « هَا هِيَ السَّاحِرَةُ ! مَزِّقُوا نَسِيجَهَا الْمَسْحُورَ ! » تَقَدَّمَ آخَرُونَ لِيَنْزِعُوا مِنْهَا النَّسِيجَ عِنْدَمَا حَطَّتْ إِحْدَى عَشَرَةَ بَجَعَةً بَيْضَاءَ حَوْلَهَا.

تَسَاءَلَ النَّاسُ : « أَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ بَرِيئَةً ؟ »

لَمْ يَكُنْ لِإِيلِيزَا إِلَّا النَّزْرَ الْقَلِيلَ مِنَ الْوَقْتِ لِنَسْجِ آخِرِ رِدَاءٍ لِتَرْمِيَ الْأَحَدَ عَشَرَ رِدَاءً عَلَى الْبَجَعَاتِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ فِي الْحَالِ إِلَى شَبَابٍ رَائِعِينَ اِحْتَفَظَ الْأَخِيرَ مِنْهُمْ بِجَنَاحِ بَجَعَةٍ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْقُصُ ثَوْبَهُ ذِرَاعٌ. وَ صَاحَتِ الْمَلِكَةُ الشَّابَّةُ : « أَخِيرًا أَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ، وَ أُعْلِنُ عَنْ بَرَاءَتِي ». وَ أَكَّدَ الْأَخُ الْأَكْبَرُ : « نَعَمْ ، أُخْتُنَا بَرِيئَةٌ ! » ثُمَّ حَكَى قِصَّتَهُمُ الطَّوِيلَةَ كُلَّهَا. أَشْرَقَ الْمَلِكُ فَرَحًا بِاسْتِعَادَةِ زَوْجَتِهِ الشَّابَّةِ. وَ أَهْدَاهَا رِيشَةَ بَجَعَةٍ كَانَتْ تَتَطَايَرُ فِي الْهَوَاءِ. أَخَذَ الْمَلِكُ إِيلِيزَا رُفْقَةَ أَحَدَ عَشَرَ أَمِيرًا جَمِيلًا طَرِيقَ الْقَصْرِ مِنْ أَجْلِ حَفْلٍ اسْتَمَرَّ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا وَ لَيْلَةً.

هَانْسَلْ وَ غْرِيتَلْ

(مقتبس من حكايات الإخوة غريم)

كَانَ يَا مَا كَانَ، حَطَّابٌ فَقِيرٌ يَعِيشُ مَعَ عَائِلَتِهِ فِي الْغَابَةِ. كَانَتْ زَوْجَتُهُ عَجُوزًا شِرِّيرَةً، لَكِنَّ طِفْلَيْهِ هَانْسَلْ وَ غْرِيتَلْ، كَانَا مَصْدَرَ سَعَادَتِهِ. كَانَ رَجُلًا شُجَاعًا يَعْمَلُ بِكَدٍّ. غَيْرَ أَنَّ الطَّعَامَ فِي الْمَنْزِلِ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا كَافِيًا أَبَدًا.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ أَعْلَنَتْ زَوْجَةُ الْحَطَّابِ أَنَّهَا سَئِمَتْ مِنْ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْأَفْوَاهِ الَّتِي عَلَيْهَا إِطْعَامُهَا وَ قَالَتْ : « غَدًا سَنَذْهَبُ لِنَتْرُكَ الطِّفْلَيْنِ فِي عُمْقِ الْغَابَةِ. إِنَّهُمَا أَصْغَرُ مِنْ أَنْ يَعْرِفَا طَرِيقَ الْعَوْدَةِ، وَ سَيَتَعَلَّمَانِ كَيْفَ يَتَدَبَّرَانِ أَمْرَهُمَا. »

حَزِنَ الْحَطَّابُ، الَّذِي كَانَ يُحِبُّ طِفْلَيْهِ كَثِيرًا، لِهَذَا الْقَرَارِ.

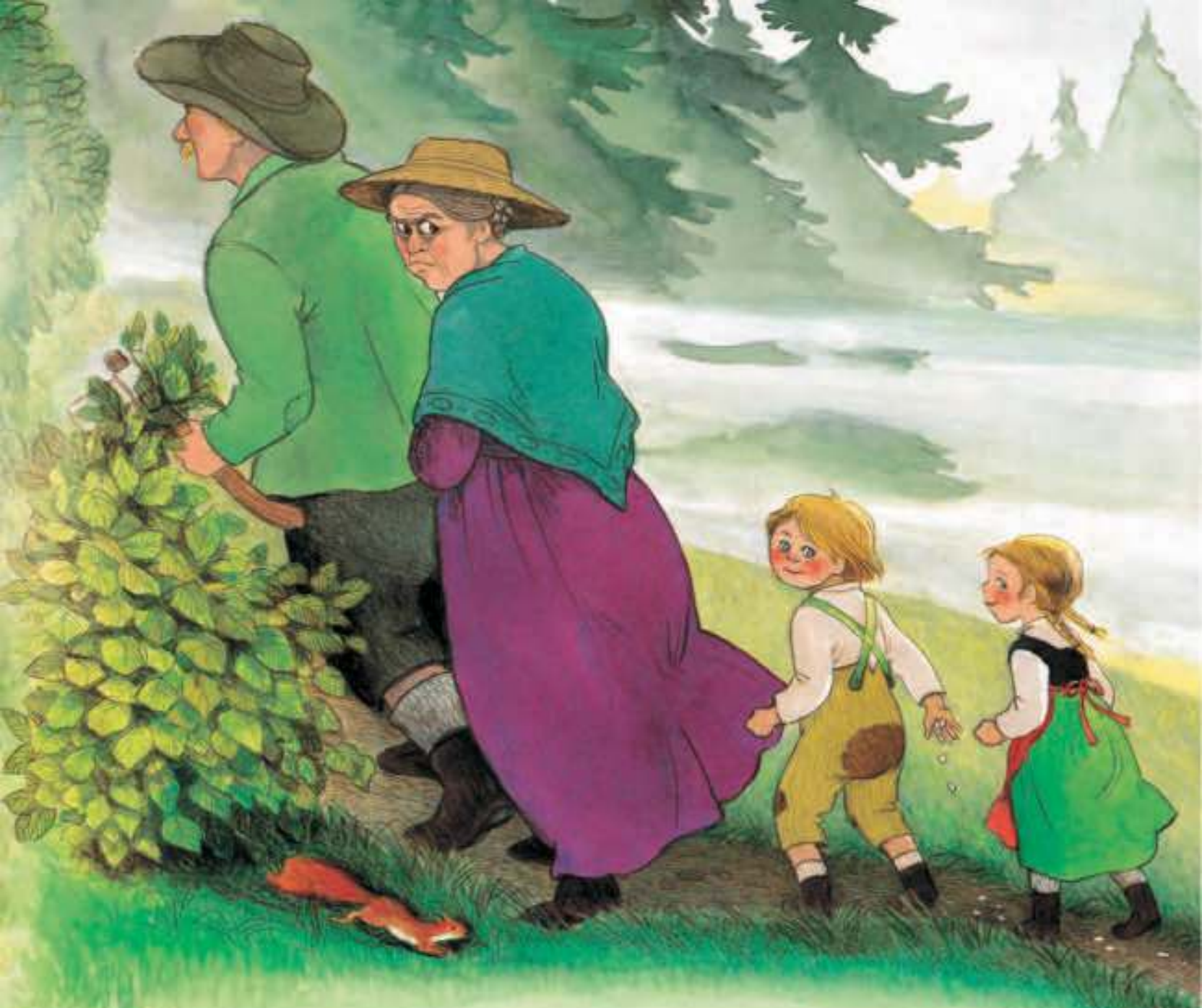

غَيْرَ أَنَّ هَانْسَلْ، الَّذِي أَبْقَاهُ الْجُوعُ سَاهِرًا، سَمِعَ كُلَّ شَيْءٍ. نَهَضَ، وَ خَرَجَ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ وَ الْتَقَطَ كَثِيرًا مِنَ الْحَصَى الْأَبْيَضِ الَّذِي خَبَّأَهُ فِي جَيْبِهِ.

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الْمُوَالِي ذَهَبَتْ كُلُّ الْعَائِلَةِ إِلَى الْغَابَةِ، قَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلطِّفْلَيْنِ : « اِبْقَيَا هُنَا، سَنَذْهَبُ لِجَلْبِ الْحَطَبِ وَ سَنَعُودُ حَالًا » غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَرْجِعَا قَطُّ. لِحُسْنِ الْحَظِّ، كَانَ هَانْسَلْ قَدْ بَذَرَ كُلَّ حَصَاهُ الْأَبْيَضِ عَلَى طَرِيقِ الْبَيْتِ، فَأَخَذَ يَدَ أُخْتِهِ الصَّغِيرَةِ، وَ قَبْلَ الْمَغِيبِ كَانَ الطِّفْلَانِ قَدْ عَادَا إِلَى الْبَيْتِ.

عِنْدَ رُؤْيَتِهِمَا يَصِلَانِ، تَكَدَّرَتِ الْعَجُوزُ جِدًّا. قَالَتْ لِلْحَطَّابِ : « غَدًا إِذًا سَنَأْخُذُهُمَا أَبْعَدَ فِي عُمْقِ الْغَابَةِ وَ مِنْ هُنَاكَ لَنْ يَتَمَكَّنَا مِنَ الْعَوْدَةِ ».

سَمِعَ هَانْسَلْ، مَرَّةً أُخْرَى، كُلَّ شَيْءٍ. غَيْرَ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ أَغْلَقَتِ الْعَجُوزُ، الَّتِي كَانَتْ سَيِّئَةَ الظَّنِّ، الْبَابَ بِالْمِفْتَاحِ. فَلَمْ يَسْتَطِعِ الطِّفْلُ أَنْ يَخْرُجَ لِجَلْبِ الْحَصَى.

فِي الصَّبَاحِ ذَهَبَ الْأَرْبَعَةُ إِلَى الْغَابَةِ وَ مَشَوْا طَوِيلًا، طَوِيلًا...

كَانَ هَانْسَلْ وَ غْرِيتَلْ يَتَضَوَّرَانِ جُوعًا، لَكِنْ بَدَلَ أَنْ يَأْكُلَا مِنَ الْخُبْزِ الَّذِي أُعْطِيَ لَهُمَا، قَامَ هَانْسَلْ بِتَفْتِيتِهِ وَرَمْيِهِ خَلْفَهُ. « سَنَتْبَعُ الْفُتَاتَ وَ هَكَذَا سَنَجِدُ طَرِيقَ الْبَيْتِ » هَذَا مَا قَالَهُ لِأُخْتِهِ. لَكِنَّهُمَا كَانَا تَعِبَيْنِ جِدًّا مِنْ طُولِ الْمَشْيِ وَ نَامَا عَلَى كُومَةِ طَحَالِبَ.

عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَا كَانَ اللَّيْلُ قَدْ حَلَّ تَقْرِيبًا. وَ كَانَ الْحَطَّابُ وَ زَوْجَتُهُ قَدْ ذَهَبَا. وَ عِنْدَمَا أَرَادَ الطِّفْلَانِ أَنْ يَعُودَا إِلَى الْبَيْتِ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فُتَاتٌ !، فَالْعَصَافِيرُ كَانَتْ قَدْ مَرَّتْ مِنْ هُنَاكَ ! فَقَالَتْ غْرِيتَلْ : « الآنَ لَنْ نَجِدَ أَبَدًا طَرِيقَ الْبَيْتِ ». شَعَرَتْ غْرِيتَلْ بِالْحُزْنِ الشَّدِيدِ وَ كَانَتْ عَلَى وَشْكِ الْبُكَاءِ عِنْدَمَا لَمَحَا فَجْأَةً، عَبْرَ الْأَشْجَارِ، بَيْتًا صَغِيرًا رَائِعًا. كَانَ بَيْتًا صَغِيرًا مَصْنُوعًا مِنَ الْخُبْزِ الْمُحَلَّى، السَّقْفُ مِنْ بِسْكُوتَاتٍ لَذِيذَةٍ، وَ النَّوَافِذُ مِنْ سُكَّرِ الْقَنْدِ. وَ لِشِدَّةِ جُوعِهِمَا كَسَّرَا قِطْعَةً مِنَ السَّقْفِ أَكَلَاهَا بِنَهَمٍ. فَجْأَةً خَرَجَتْ عَجُوزٌ ضَاحِكَةٌ بِاسْتِهْزَاءٍ. كَانَتْ سَاحِرَةً شِرِّيرَةً تَتَرَبَّصُ بِالْأَطْفَالِ الصِّغَارِ. رَأَتْ هَانْسَلْ وَ غْرِيتَلْ فِي الْغَابَةِ وَ أَخْرَجَتْ بِسِحْرِهَا ذَلِكَ الْبَيْتِ الصَّغِيرِ مِنَ الْخُبْزِ الْمُحَلَّى حَتَّى تَجْذِبَهُمَا. لَكِنَّهَا كَانَتْ تَبْدُو لَطِيفَةً وَ دَعَتِ الطِّفْلَيْنِ لِمُشَارَكَتِهَا طَعَامَهَا.

عِنْدَ انْتِهَاءِ الْعَشَاءِ، كَانَ الطِّفْلَانِ مُنْهَمِكَيْنِ فَنَامَا لِتَوِّهِمَا . وَ عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَا كَانَ هَانْسَلْ مَسْجُونًا فِي قَفَصٍ وَ حِينَهَا فَهِمَتْ غْرِيتَلْ أَنَّ الْعَجُوزَ كَانَتْ سَاحِرَةً !

« اِبْتِدَاءً مِنَ الآنَ تَقُومِينَ بِأَشْغَالِ الْبَيْتِ وَ الطَّبْخِ، أَمَرَتْهَا السَّاحِرَةُ الْقَبِيحَةُ، وَ عِنْدَمَا يَسْمَنُ أَخُوكِ جَيِّدًا، سَآكُلُهُ » . كَانَتْ تُحَضِّرُ أَحْسَنَ الأَطْبَاقِ لِهَانْسَلْ، غَيْرَ أَنَّ لِلسَّاحِرَاتِ عُيُونًا شَدِيدَةَ الاِحْمِرَارِ، وَ هِيَ قَصِيرَةُ النَّظَرِ. وَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَتْ تَطْلُبُ مِنْ هَانْسَلْ أَنْ يُعْطِيَهَا إِصْبَعَهُ لِتَرَى إِنْ كَانَ قَدْ سَمِنَ، يُعْطِيهَا الطِّفْلُ الذَّكِيُّ عُودَ خَشَبٍ تَمْتَصُّهُ. « نَحِيلٌ، مَازِلْتَ جِدَّ نَحِيلٍ عَلَى أَنْ تَكُونَ عَشَاءً جَيِّدًا ! »

بَعْدَ شَهْرٍ فَقَدَتِ السَّاحِرَةُ الشِّرِّيرَةُ صَبْرَهَا، فَطَلَبَتْ مِنْ غْرِيتَلْ أَنْ تَفْتَحَ الْفُرْنَ وَ تُوقِدَ النَّارَ لِتَحْضِيرِ الْأَكْلِ. اِنْحَنَتِ الْمَرْأَةُ الْخَبِيثَةُ لِتَتَأَكَّدَ مِنْ حَرَارَةِ الْفُرْنِ، وَ لِأَنَّهَا انْحَنَتْ كَثِيرًا سَقَطَتْ دَاخِلَهُ وَ هِيَ تَصْرُخُ...

اِغْتَنَمَتْ غْرِيتَلِ الْفُرْصَةَ وَ سَارَعَتْ لِإِطْلَاقِ سَرَاحِ هَانْسَلْ. وَجَدَا فِي الْبَيْتِ كِيسًا مَمْلُوءًا بِالذَّهَبِ وَ الْمَاسِ وَ الْمُجَوْهَرَاتِ وَ الْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ. قَالَا فَرِحَيْنِ : « الآنَ يُمْكِنُنَا أَنْ نَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ ».

وَجَدَ هَانْسَلْ وَ غْرِيتَلْ سَرِيعًا طَرِيقَ الْبَيْتِ. صُدْفَةً وَجَدَا نَفْسَيْهِمَا عَلَى ضِفَافِ بِرْكَةٍ، كُلُّ شَيْءٍ كَانَ سَاحِرًا وَ جَمِيلًا. عَلَى الْمِيَاهِ الصَّافِيَةِ كَانَتْ تَسْبَحُ بَجَعَاتٌ كَبِيرَةٌ بَيْضَاءُ. كَانَ عَلَى الطِّفْلَيْنِ أَنْ يَقْطَعَا الْبُحَيْرَةَ لِيَلْتَحِقَا بِالْبَيْتِ، لَكِنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا قَادِرَيْنِ عَلَى السِّبَاحَةِ، لِأَنَّ جُيُوبَهُمَا كَانَتْ تَفِيضُ بِكُنُوزٍ ثَقِيلَةٍ جِدًّا. صَاحَتْ غْرِيتَلْ : « عِنْدِي فِكْرَةٌ ! سَيَجْلِسُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا عَلَى ظَهْرِ بَجَعَةٍ وَ هَكَذَا سَنَصِلُ إِلَى الضِّفَّةِ الْأُخْرَى.

وَ هَكَذَا كَانَ الْحَالُ. وَ عِنْدَمَا وَصَلَا إِلَى الْبَيْتِ، بَكَى الْحَطَّابُ فَرَحًا لِلِقَائِهِ بِصَغِيرَيْهِ الْعَزِيزَيْنِ. وَ كَانَتْ زَوْجَتُهُ الشِّرِّيرَةُ قَدْ مَاتَتْ فِي الْأَثْنَاءِ. وَ أَقْسَمَ ثَلَاثَتُهُمْ أَنْ لَا يَفْتَرِقُوا أَبَدًا. وَ عَاشُوا طَوِيلًا سُعَدَاءَ، وَ لَمْ يَكُنْ يَنْقُصُهُمْ شَيْءٌ أَبَدًا.

جَـاكْ وَ الْفَـاصُولِيَا الْعَـجِـيبَةُ

(مقتبس من حكايات عالمية)

كَانَ جَاكْ يَعِيشُ مَعَ أُمِّهِ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ جِدًّا وَ لَمْ يَعْرِفْ قَطُّ أَبَاهُ. وَ كَانَتْ أُمُّهُ تَقُومُ بِأَشْغَالِ الْخِيَاطَةِ فِي الْجِوَارِ. فِي حِينٍ كَانَ جَاكْ يَعْتَنِي بِحَدِيقَةِ الْخَضْرَوَاتِ وَ بِبَقَرَتِهِمَا الْوَحِيدَةِ، « دُوسَاتْ »، الَّتِي كَانَ يَحْلُبُهَا كُلَّ يَوْمٍ. فِي تِلْكَ السَّنَةِ كَانَ الشِّتَاءُ قَاسِيًا، وَ فِي الرَّبِيعِ لَمْ تُعْطِ الْحَدِيقَةُ شَيْئًا تَقْرِيبًا. فِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ قَالَتْ أُمُّ جَاكْ بِأَسَى :

« لَنْ نَتَمَكَّنَ مِنْ إِطْعَامِ دُوسَاتْ، يَجِبُ الذَّهَابُ إِلَى السُّوقِ لِبَيْعِهَا ».

وَ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ حَتَّى الْمَسَاءِ طَلَبَتْ مِنْ جَاكْ أَنْ يَأْخُذَ الدَّابَّةَ الْمِسْكِينَةَ. قَائِلَةً لَهُ :

« حَاوِلْ أَنْ تَحْصُلَ عَلَى مَبْلَغٍ جَيِّدٍ ».

وَ هَكَذَا خَرَجَ جَاكْ سَاحِبًا دُوسَاتْ بِحَبْلٍ. وَ فِي الطَّرِيقِ الْتَقَى شَيْخًا يَرْتَدِي أَسْمَالًا.

سَأَلَ الشَّيْخُ جَاكْ : « أَيْنَ تَذْهَبُ بِبَقَرَتِكَ الْجَمِيلَةِ ؟ »

ـ أَنَا ذَاهِبٌ لِبَيْعِهَا فِي السُّوقِ، لِأَنَّنِي وَ أُمِّي فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى الْمَالِ.

ـ أَنَا أَشْتَرِيهَا مِنْكَ مُقَابِلَ حَبَّاتِ الْفَاصُولِيَا السِّحْرِيَّةِ هَذِهِ، قَالَ الشَّيْخُ، وَ بِفَضْلِهَا سَتَنْسَيَا، إِلَى الْأَبَدِ، كُلَّ هُمُومِكُمَا ».

كَانَ جَاكْ يَرْغَبُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فِي إِرْضَاءِ وَالِدَتِهِ. وَ قَبِلَ لِتَوِّهِ. « اِنْتَبِهْ.. أَضَافَ الشَّيْخُ، بِفَضْلِ هَذِهِ الْبُذُورِ سَتَتَمَكَّنُ مِنِ اكْتِشَافِ كَنْزٍ سَرَقَهُ مِنِّي، مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، عِمْلَاقٌ فَظِيعٌ شَرِسٌ. إِنْ تَمَكَّنْتَ مِنِ اسْتِرْجَاعِهِ سَيَكُونُ لَكَ ».

ـ اِتَّفَقْنَا، أَجَابَ جَاكْ الَّذِي كَانَ مَسْرُورًا بِصَفْقَتِهِ. كَانَ مُسْتَعْجِلًا لِإِعْلَانِ النَّبَإِ وَ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْبَيْتِ.

لَمَّا رَأَتِ الْوَالِدَةُ أَنَّ جَاكْ جَلَبَ بُذُورَ الْفَاصُولِيَا بَدَلَ الْمَالِ، نَزَعَتْ مِنْهُ الْكِيسَ وَ هِيَ تَصِيحُ : « اِذْهَبْ إِلَى النَّوْمِ حَالًا .. عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ لِلْعَشَاءِ » وَ بِيَأْسٍ، رَمَتِ الْبُذُورَ مِنَ النَّافِذَةِ.

فِي الصَّبَاحِ الْمُوَالِي عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ جَاكْ، كَانَ النَّهَارُ قَدْ طَلَعَ. فَتَحَ عَيْنًا وَ انْدَهَشَ : وَرَاءَ نَافِذَتِهِ كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ يَمْنَعُ النُّورَ مِنَ الدُّخُولِ. نَظَرَ مُحَمْلِقًا، لَاحَظَ بِدَهْشَةٍ أَنَّ نَبْتَةً عِمْلَاقَةً لَهَا أَوْرَاقٌ ضَخْمَةٌ قَدْ نَبَتَتْ خِلَالَ اللَّيْلِ. كَانَتْ فَاصُولِيَا ضَخْمَةً.. !

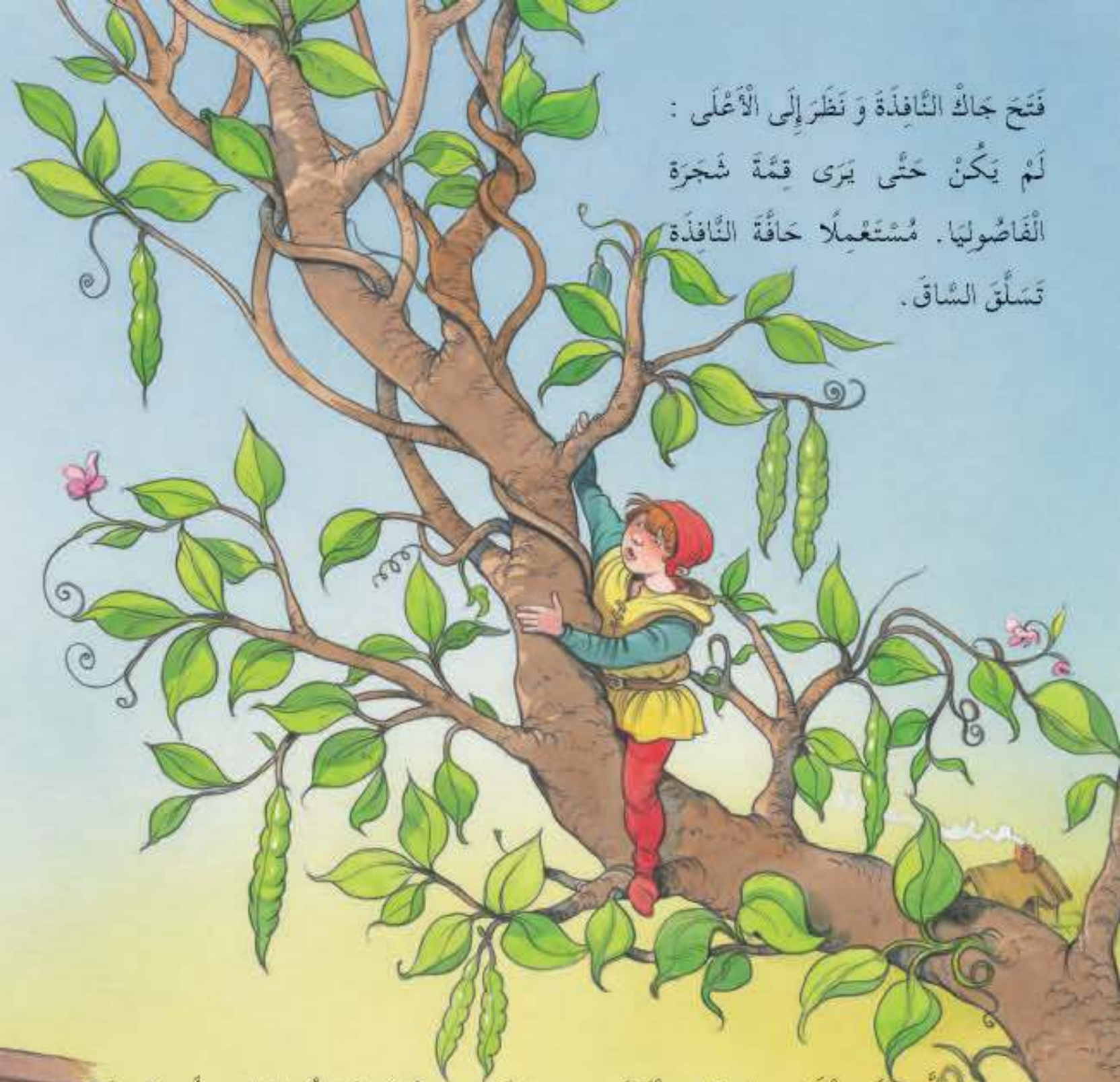

فَتَحَ جَاكْ النَّافِذَةَ وَ نَظَرَ إِلَى الْأَعْلَى :
لَمْ يَكُنْ حَتَّى يَرَى قِمَّةَ شَجَرَةِ
الْفَاصُولِيَا. مُسْتَعْمِلًا حَافَّةَ النَّافِذَةِ
تَسَلَّقَ السَّاقَ.

فَكَّرَ بِأَنَّ « الْكَنْزَ مَوْجُودٌ فِي الْأَعْلَى ». بَعْدَ لَحَظَاتٍ كَانَ يَخْتَرِقُ السُّحُبَ الَّتِي تَحَوَّلَتْ
كَأَنَّهُ فِعْلُ سَاحِرٍ إِلَى رِيفٍ جَمِيلٍ. قَفَزَ مِنَ الْفَاصُولِيَا وَ اخْتَارَ اِتِّجَاهًا بِالصُّدْفَةِ. كَانَ
يَأْمَلُ أَنْ يَجِدَ مَا يَرْوِي ظَمَأَهُ وَ أَيْضًا مَا يَسُدُّ رَمَقَهُ : لَمْ يَدْخُلْ جَوْفَهُ شَيْءٌ مُنْذُ
الْبَارِحَةِ. مَشَى سَاعَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ، وَ هُوَ مُنْهَكٌ، أَمَامَ بَيْتٍ هَائِلٍ.
طَرَقَ الْبَابَ، فَتَحَتْ لَهُ خَادِمَةٌ..

قَالَ لِلْمَرْأَةِ الشَّابَّةِ : « أَنَا عَطْشَانٌ، أَنَا جَوْعَانٌ وَ أَنَا تَعْبَانٌ، هَلْ يُمْكِنُنِي أَنْ أَدْخُلَ لِأَرْتَاحَ ؟ »

ـ لِلْأَسَفِ.. كُنْتُ أَتَمَنَّى لَوْ أُضَيِّفَكَ، يَا صَغِيرِي ـ أَجَابَتْ ـ لَكِنَّ سَيِّدِي عِمْلَاقٌ قَدْ أَكَلَ عِدَّةَ أَطْفَالٍ، لَوْ دَخَلْتَ هُنَا، سَيَقْضِي عَلَيْكَ. كَادَ جَاكْ أَنْ يَبْكِي. لَكِنَّهُ سَمِعَ صَوْتًا غَلِيظًا مِنَ الطَّابِقِ يَقُولُ : « هَذَا الْمَشْوِيُّ، أَقَرِيبًا يَكُونُ جَاهِزًا ؟ »

ـ دَقِيقَةٌ سَيِّدِي ! أَجَابَتِ الْخَادِمَةُ. شَدَّتْ يَدَ جَاكْ وَ فَتَحَتْ بَابَ صُنْدُوقِ حِفْظِ الطَّعَامِ وَ هِيَ تَقُولُ : « اِخْتَبِئْ فِي الْقَاعِ ». كَانَ الْعِمْلَاقُ يَنْزِلُ السُّلَّمَ مُحْدِثًا ضَجِيجًا كَبِيرًا.

« هَا ! أَشُمُّ رَائِحَةَ اللَّحْمِ الطَّازِجِ مِنْ هُنَا ! إِنَّكِ أَدْخَلْتِ أَحَدَهُمْ !

ـ أَبَدًا يَا سَيِّدِي، قَالَتِ الْخَادِمَةُ، دُونَ شَكٍّ هِيَ رَائِحَةُ طَبَقِ الشِّوَاءِ الَّتِي حَضَّرْتُهَا.

ـ « أَشُكُّ فِي ذَلِكَ ! »، قَالَ الْعِمْلَاقُ. وَ رَاحَ يُفَتِّشُ فِي كُلِّ الْأَرْكَانِ صَائِحًا : « هُنَاكَ رَائِحَةُ لَحْمٍ طَازِجٍ ! » وَ كَانَ يَفْتَحُ كُلَّ الْخَزَائِنِ وَ يَنْظُرُ تَحْتَ أُخْرَى.

جَاكْ الَّذِي كَانَ مُخْتَبِئًا فِي حَافِظَةِ الطَّعَامِ، كَانَ يَرْتَعِدُ كَوَرَقَةٍ يَابِسَةٍ.

ـ أَسْرِعْ إِلَى الطَّاوِلَةِ سَيِّدِي، قَالَتِ الْخَادِمَةُ، سَيَبْرُدُ.

ـ صُبِّي لِي إِذًا، وَ بِأَسْرَعِ مِنْ هَذَا ! مَلَأَتْ صَحْنًا ضَخْمًا ثُمَّ وَضَعَتْ عَلَى الطَّاوِلَةِ ثَلَاثَةَ أَفْخَاذٍ وَ يُحْمُورٍ وَ أَرْبَعَةَ دِيَكَةٍ رُومِيَّةٍ وَ دَزِّينَتَيْنِ مِنْ قِطَعِ لَحْمِ الْبَقَرِ الْمَشْوِيِّ. بَعْدَ هَذِهِ الْوَجْبَةِ الضَّخْمَةِ نَادَى الْعِمْلَاقُ خَادِمَتَهُ : « أَعْطِنِي أَكْيَاسِي مِنْ قِطَعِ الذَّهَبِ لِأَتَسَلَّى بِهَا قَلِيلًا..! » جَاءَتْ إِلَى الْعِمْلَاقِ بِكِيسٍ مِنَ الْقُمَاشِ، كَبِيرٍ وَ ثَقِيلٍ جِدًّا وَ وَضَعَتْهُ عَلَى الطَّاوِلَةِ. رَاحَ الْعِمْلَاقُ مُبْتَهِجًا يُرَكِّبُ أَشْكَالًا بِالْقِطَعِ، بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ بِأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ قَيْلُولَةً جَيِّدَةً. سَقَطَ عَلَى الطَّاوِلَةِ وَ عَلَا شَخِيرُهُ.

قَرَّرَ جاكْ أَنْ يَغْتَنِمَ الْفُرْصَةَ، وَ بِحَذَرٍ كَبِيرٍ انْزَلَقَ خَارِجَ مَخْبَئِهِ. تَقَدَّمَ نَحْوَ الطَّاوِلَةِ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ، وَ دُونَ أَنْ يُحْدِثَ أَدْنَى صَوْتٍ، أَرْجَعَ الْقِطَعَ الذَّهَبِيَّةَ إِلَى الْكِيسِ الْكَبِيرِ وَ أَخَذَهَا. تَوَجَّهَ وَ حَمْلُهُ الثَّقِيلُ عَلَى كَتِفِهِ، نَحْوَ بَابِ الدَّارِ. لَكِنَّهُ عِنْدَ اجْتِيَازِ الْعَتَبَةِ، اِرْتَطَمَ الْكِيسُ بِالْبَابِ مُوقِظًا الْعِمْلَاقَ الَّذِي نَهَضَ فِي وَثْبَةٍ وَاحِدَةٍ. أَطْلَقَ جاكْ سَاقَيْهِ لِلرِّيحِ هَارِبًا فِي اِتِّجَاهِ الْفَاصُولِيَا. تَعَثَّرَ الْعِمْلَاقُ عِنْدَ عَتَبَةِ الْبَابِ ؛ وَ لِأَنَّهُ اسْتَغْرَقَ وَقْتًا طَوِيلًا حَتَّى يَسْتَعِيدَ وَقْفَتَهُ كَانَ الطِّفْلُ قَدْ وَسَّعَ الْمَسَافَةَ بَيْنَهُمَا. وَصَلَ جاكْ إِلَى شَجَرَةِ الْفَاصُولِيَا، قَفَزَ إِلَيْهَا ثُمَّ تَرَكَ جِسْمَهُ يَنْزَلِقُ مَرَّةً وَاحِدَةً حَتَّى الْأَرْضِ.

عَازِفُ النَّايِ

(مقتبس من حكايات الإخوة غريم)

كَانَ يَا مَا كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، فِي مُقَاطَعَةِ سَاكْسْ مَدِينَةٌ تُدْعَى هَامْلِينَ، كَانَتْ مُسَيَّجَةً بِأَسْوَارٍ عَالِيَةٍ، يَعِيشُ سُكَّانُهَا فِي سَعَادَةٍ، لَكِنَّهُمْ جَمِيعًا كَانُوا يَشْتَرِكُونَ فِي عَيْبٍ كَبِيرٍ هُوَ الشَّرَاهَةُ. عَلَى طُولِ السَّنَةِ كَانَتْ رَوَائِحُ الْأَطْبَاقِ تَحُومُ فَوْقَ الْأَرْيَافِ عَلَى مَسَافَةِ 20 كِيلُومِتْرٍ. غَيْرَ أَنَّ أَهْلَ هَامْلِينَ الْمَسَاكِينَ دَفَعُوا ثَمَنَ هَذَا الْبَذَخِ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ غَالِيًا.. سَتَعْرِفُونَ كَيْفَ.

حَدَثَ الْأَمْرُ لَيْلَةَ عِيدِ الْمِيلَادِ لِسَنَةِ 1283 بِالتَّدْقِيقِ، فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ الْبَرْدُ قَارِسًا جِدًّا غَيْرَ أَنَّ الْقَمَرَ كَانَ مُنِيرًا لِلْغَايَةِ. كَانَ رَجُلُ الْحِرَاسَةِ يُحَاوِلُ تَدْفِئَةَ نَفْسِهِ وَ هُوَ يَجُوبُ مَمَرَّ الْحِرَاسَةِ عَلَى أَسْوَارِ الْمَدِينَةِ. فَجْأَةً انْبَهَرَ وَ لَمْ يُحَرِّكْ سَاكِنًا. فَرَكَ عَيْنَيْهِ جَيِّدًا لِكَيْ يُوَضِّحَ رُؤْيَتَهُ. لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ. فِي السَّهْلِ الَّذِي كَانَ يَلْمَعُ جَلِيدُهُ تَحْتَ ضَوْءِ الْقَمَرِ، كَانَ يَقْطَعُهُ مَا يُشْبِهُ ثُعْبَانٌ أَسْوَدُ كَبِيرٌ يَتِيهُ ذَيْلُهُ فِي الظَّلَامِ..! وَ كَانَ يَتَحَرَّكُ وَ يَنْسَابُ نَحْوَ الْمَدِينَةِ !، إِنَّهَا الْجُرْذَانُ !

جَرَى الْحَارِسُ نَحْوَ جَرَسِ التَّنْبِيهِ. آهٍ يَا أَصْدِقَائِي !، لَمْ يَرَ النَّاسُ فِي حَيَاتِهِمْ اسْتِعْرَاضًا مِثْلَ هَذَا : كَانَتِ الْجُرْذَانُ سَمِينَةً سَوْدَاءَ وَ مُشَعَّرَةً، عُيُونُها حَمْرَاءُ تَلْمَعُ كَالْجَمْرِ وَ أَسْنَانُهَا حَادَّةٌ وَ مُخِيفَةٌ ! وَ كَانَتْ بِالْآلَافِ، جَلَبَتْهَا الرَّوَائِحُ الْمُغْرِيَةُ. يَرْكَبُ فِي زَحْفِهَا بَعْضُهَا بَعْضًا، تَقْضِمُ وَ تَنْقَلِبُ... مَشْهَدٌ اِقْشَعَرَّ لَهُ بَدَنُ أَشْجَعِ الشُّجْعَانِ.

فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ وَصَلَتْ مَدَاخِلَ الْمَدِينَةِ فَتَسَلَّقَتِ الْجُدْرَانَ وَ هَجَمَتْ عَلَى الْمَنَازِلِ. كَانَتِ الْحَيَوَانَاتُ الْقَبِيحَةُ الْفَظِيعَةُ الدَّاكِنَةُ تَجْرِي فِي الْمَطَابِخِ وَ تَهْجُمُ عَلَى مَخَازِنِ الْمَؤُونَةِ وَ عَلَى الْأَطْبَاقِ، وَ كَانَتْ تَلْتَهِمُ كُلَّ شَيْءٍ.

عَشَرَةٌ، عِشْرُونَ، مَائَةٌ... مَلَايِينُ الْجُرْذَانِ، كَابُوسٌ حَقِيقِيٌّ، كُلُّ شَيْءٍ ذَهَبَ، كُلُّ مُؤَنِ الشِّتَاءِ، لَمْ تَتْرُكِ الْجُرْذَانُ شَيْئًا. لَا.. وَ لَا حَتَّى مَا يُطْعِمُ بَرْغُوثًا. لَمْ يَنْجُ مِنْهَا لَا قَبْوٌ وَ لَا سِرْدَابٌ وَ لَا خِزَانَةٌ مَهْمَا كَانَتْ مُحْكَمَةَ الْغَلْقِ. لَمْ تَعْرِفْ ذَاكِرَةُ الْإِنْسَانِ خَرَابًا مَثِيلًا لِذَلِكَ حَتَّى فِي أَزْمِنَةِ الْمَجَاعَةِ.

قَرَّرَ عُمْدَةُ الْمَدِينَةِ أَنْ يُعْطِيَ مُكَافَأَةً قَدْرُهَا 50 فْلُورَنْسْ لِمَنْ يُخَلِّصُ مَدِينَةَ هَامْلِنَ مِنْ هَذَا الْوَبَاءِ. وَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ دَخَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، رَجُلٌ طَوِيلٌ وَ نَحِيفٌ، لَهُ شَعْرٌ طَوِيلٌ نَاعِمٌ أَسْوَدُ كَالسُّخَامِ وَ قُبَّعَةٌ خَضْرَاءُ. كَانَتْ تَنْزِلُ مِنْ كَتِفِهِ إِلَى خَصْرِهِ جُعْبَةٌ، وَ بِمُجَرَّدِ أَنْ دَخَلَ طَلَبَ أَنْ يُكَلِّمَ عُمْدَةَ الْمَدِينَةِ. « قِيلَ لِي إِنَّ هُنَاكَ 50 فْلُورَنْسْ يَرْبَحُهَا مَنْ يَطْرُدُ الْجُرْذَانَ، حَضِّرُوا الْمِنْحَةَ ! » . مَاذَا ؟ أَنْتَ ؟... وَ لَكِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُنْصِتُ لَهُ.

رَأَوْهُ يَنْزِلُ السُّلَّمَ بِثَبَاتٍ وَ يَتَوَجَّهُ نَحْوَ السَّاحَةِ الْكُبْرَى. وَ هُنَاكَ أَخْرَجَ مِنْ جُعْبَتِهِ نَايًا صَغِيرًا مَصْنُوعًا مِنْ خَشَبٍ أَسْوَدَ وَرَاحَ يَعْزِفُ.

لَا يُمْكِنُ تَصَوُّرُ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ الْعَجِيبَ. حَتَّى بَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنْ تِلْكَ الْحَادِثَةِ، بَقِيَ شَعْرُ الْهَامْلِيِّينَ يَقِفُ عِنْدَ تَذَكُّرِ تِلْكَ الْمُوسِيقَى. كَانَتِ الْأَصَابِعُ الْمُرْهَفَةُ لِلْعَازِفِ الْغَرِيبِ تَتَنَقَّلُ عَلَى النَّايِ كَأَنَّهَا أَرْجُلُ عَنْكَبُوتٍ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهَا أَصْوَاتٌ غَرِيبَةٌ وَ حَزِينَةٌ لِدَرَجَةِ أَنَّ الْقُلُوبَ تَتَفَطَّرُ لِسَمَاعِهَا. بِمُجَرَّدِ مَا انْطَلَقَ فِي الْعَزْفِ حَتَّى تَوَقَّفَ الْقَضْمُ الْعَامُّ. وَ فَجْأَةً شُوهِدَتِ الْجُرْذَانُ تَخْرُجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ثُمَّ مَعَ تَسَارُعِ النَّغَمِ كَانَ سَيْلٌ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ السَّوْدَاءِ الْقَذِرَةِ يَنْسَابُ فِي اتِّجَاهِهِ.

كَانَتْ تَتَسَارَعُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، خَرَجَتْ مِنْ كُلِّ الْأَزِقَّةِ وَ تَحَلَّقَتْ حَوْلَ عَازِفِ النَّايِ الَّذِي بَدَأَ يَمْشِي بِبُطْءٍ نَحْوَ النَّهْرِ وَ جَيْشُ الْجُرْذَانِ يَتْبَعُهُ. أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُ النَّايِ مُقَطَّعَةً لِنِيَاطِ الْقُلُوبِ وَ كَأَنَّهَا تَأْتِي مِنْ عَالَمٍ فَوْقِيٍّ.

فَجْأَةً، وَ كَأَنَّهَا جُنَّتْ، رَاحَتِ الْجُرْذَانُ تُلْقِي بِنَفْسِهَا فِي النَّهْرِ وَ هِيَ تُطْلِقُ صَرْخَاتٍ حَادَّةً وَ تَرْتَطِمُ بِالْجَلِيدِ الَّذِي تَشَقَّقَ تَحْتَ ثِقَلِهَا. ثُمَّ صَعَدَتِ الْمِيَاهُ وَ نَزَلَتْ مُثِيرَةً زَبَدًا. ثُمَّ انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ..! لَمْ يَبْقَ جُرَذٌ وَاحِدٌ فِي هَامْلِينْ. ذَهَبَ عَازِفُ النَّايِ لِعُمْدَةِ الْمَدِينَةِ :

ـ جِئْتَ تَأْخُذُ مَالَكَ ؟ خُذِ الْخَمْسِينَ كْرُوتْزَرْ !

ـ عُذْرًا سَيِّدِي !، أَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ فْلُورَنْسْ !

ـ كْرُوتْزَرْ !

ـ فْلُورَنْسْ !

ـ كْرُوتْزَرْ !، مَاذَا كُنْتَ تَتَصَوَّرُ !، أَنَّنَا سَنُعْطِيكَ 50 فْلُورَنْسٍ ذَهَبِيَّةٍ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ ؟! هَيَّا، خُذِ الْكْرُوتْزَرْ وَ ارْحَلْ.

ـ آهٍ !، هَكَذَا إِذًا ؟!

سَكَتَ عَازِفُ النَّايِ وَ أَدَارَ ظَهْرَهُ لِلْعُمْدَةِ وَ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ كَمَا جَاءَ.

فِي الْأَحَدِ الْمُوَالِي، كَانَتْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ تَنْعَكِسُ عَلَى الثَّلْجِ الْأَبْيَضِ فَتَجْعَلُ الرِّيفَ كُلَّهُ يَلْمَعُ، وَ عَادَ الدُّخَانُ يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ الْمَدَاخِنِ. فِي السَّاحَةِ الْكُبْرَى لِهَامْلِينْ كَانَ عُمْدَةُ الْمَدِينَةِ يَحْكِي وَسَطَ الضَّحِكَاتِ عَنِ الْمَقْلَبِ الرَّائِعِ الَّذِي نَصَبَهُ لِعَازِفِ النَّايِ، وَ كَيْفَ أَنَّهُ بِحِيلَتِهِ تَمَكَّنَ مِنَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْخَمْسِينَ فْلُورَنْسِ الذَّهَبِيَّةِ لِخَزِينَةِ الْمَدِينَةِ...

وَ فَجْأَةً رَأَوْهُ يَتَجَمَّدُ، وَ قَدْ اِسْتَدَارَتْ عُيُونُهُ وَ تَجَمَّدَ فَمُهُ مَفْتُوحًا. اِسْتَدَارَ الْجَمِيعُ آنَذَاكَ، وَ كَانَ... تَصَوَّرُوا مَنْ ؟ عَازِفُ النَّايِ..!

دُونَ أَنْ يَتَكَلَّمَ أَخَذَ آلَتَهُ الْمُوسِيقِيَّةَ.. آهٍ ! يَا أَصْدِقَائِي ! كَانَتْ نَغْمَةً عَذْبَةً وَ مَرِحَةً تُعْطِي الرَّغْبَةَ فَوْرًا فِي الرَّكْضِ وَ الرَّقْصِ. وَ تَحَوَّلَتْ أَصَابِعُ الْعَازِفِ إِلَى عَفَارِيتَ تَقْفِزُ عَلَى النَّايِ بِصِفَةٍ أَسْرَعَ وَأَخَفَّ.

وَ هَكَذَا بَدَأَ كُلُّ أَطْفَالِ هَامْلِينَ حَتَّى الرُّضَعَ الَّذِينَ لَمْ يَتَعَلَّمُوا الْمَشْيَ بَعْدُ جَيِّدًا يَرْكُضُونَ مِنْ كُلِّ جِهَاتِ الْمَدِينَةِ وَ شَكَّلُوا دَائِرَةً وَ بَدَأُوا يَدُورُونَ وَ يَدُورُونَ. وَ بَدَأَ الْعَازِفُ يَمْشِي كَمَا فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ... اِرْتَعَبَ الْآبَاءُ، حَاوَلُوا الْإِمْسَاكَ بِأَبْنَائِهِمْ، أَوْ مَنْعِهِمْ مِنَ الرَّكْضِ، لَكِنَّ أَقْدَامَهُمْ كَانَتْ مَغْرُوسَةً فِي الْأَرْضِ وَ كَأَنَّهَا تَحْتَ تَأْثِيرِ سِحْرٍ قَوِيٍّ. كَانَ النَّايُ يَعْزِفُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ. خَرَجَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ ذُو الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْمَدِينَةِ، قَطَعَ السَّهْلَ وَ دَخَلَ فِي مَغَارَةٍ فِي الْجَبَلِ. تَبِعَهُ كُلُّ الْأَطْفَالِ وَ لَمْ يَظْهَرُوا أَبَدًا بَعْدَهَا ! أَبَدًا !

الذِّئْبُ و الجِدْيانُ السَّبْعَةُ

(مقتبس من حكايات الإخوة غريم)

كَانَ يَا مَا كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، عَنْزَةٌ تَسْكُنُ مَعَ صِغَارِها السَّبْعَةِ فِي بَيْتٍ كَبِيرٍ قُرْبَ الْغَابَةِ. كَانَ الْبَيْتُ مُنْعَزِلًا وَ بَعِيدًا عَنِ الْقَرْيَةِ

قَالَتِ الْأُمُّ لِصِغَارِهَا فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ : « لَمْ يَبْقَ مَعَنَا مِنَ الْمَؤُونَةِ الْكَثِيرُ، وَ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْقَرْيَةِ لِأَشْتَرِيَ مَا نَحْتَاجُهُ. عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْقَوْا فِي الْبَيْتِ هَادِئِينَ، وَ أَنْ لَا تَفْتَحُوا الْبَابَ لِأَحَدٍ حَتَّى عَوْدَتِي. حَذَارِ ! هُنَاكَ ذِئْبٌ جِدُّ شِرِّيرٍ يَقْطُنُ الْغَابَةَ، يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَتْرُكُوهُ يَدْخُلُ، سَيَلْتَهِمُكُمْ كُلَّكُمْ ! »

أَجَابَ الْجِدْيَانُ الصِّغَارُ : « نَعِدُكِ يَا أُمَّاهُ أَنْ نَبْقَى هَادِئِينَ ! » أَخَذَتِ الْعَنْزَةُ الْأُمُّ سَلَّتَهَا تَحْتَ قَائِمَتِهَا وَ أَغْلَقَتِ الْبَابَ خَلْفَهَا وَ ذَهَبَتْ. رَأَى الذِّئْبُ الَّذِي كَانَ يَتَرَبَّصُ فِي الْغَابَةِ أَنَّ الْجِدْيَانَ السَّبْعَةَ كَانَتْ وَحْدَهَا وَ قَالَ فِي نَفْسِهِ : « مَمْمْمْمْ، أَنَا الَّذِي أُعَانِي مِنَ الْجُوعِ، سَأَتَمَكَّنُ مِنْ تَنَاوُلِ غَدَاءٍ جَيِّدٍ. سَبْعَةُ جِدْيَانٍ سَمِينَةٍ ! يَا لَهَا مِنْ مُتْعَةٍ ! »

طَرَقَ الْبَابَ وَ قَالَ بِصَوْتِهِ الْغَلِيظِ :

« أَنَا أُمُّكُمُ الْعَنْزَةُ، اِفْتَحُوا حَالًا ! »

غَيْرَ أَنَّ الْجِدْيَانَ الصِّغَارَ أَجَابَتْ : « لَا، لَسْتَ أُمَّنَا الْعَنْزَةَ..! لِأُمِّنَا الْعَنْزَةِ صَوْتٌ لَطِيفٌ جِدًّا ! وَ أَنْتَ لَكَ صَوْتٌ غَلِيظٌ قَبِيحٌ !، إِنَّكَ الذِّئْبُ ! اِذْهَبْ مِنْ هُنَا ! »

ذَهَبَ الذِّئْبُ مُسْرِعًا إِلَى الْقَرْيَةِ وَ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْبَقَّالِ وَ سَرَقَ مِنْهُ إِنَاءَ عَسَلٍ. شَرِبَ كُلَّ مَا كَانَ فِي الْإِنَاءِ وَ عَادَ يَطْرُقُ بَابَ الْجِدْيَانِ الصِّغَارِ. وَ بِصَوْتٍ جِدٍّ لَطِيفٍ قَالَ : « إِنَّنِي أُمُّكُمُ الْعَنْزَةُ، اِفْتَحُوا لِي بِسُرْعَةٍ ! » وَ لَكِنَّهُ كَانَ قَدْ وَضَعَ قَائِمَتَهُ عَلَى زُجَاجِ النَّافِذَةِ، فَأَجَابَ الْجِدْيَانُ الصِّغَارُ : « لَا، لَسْتَ أُمَّنَا الْعَنْزَةَ، لِأُمِّنَا الْعَنْزَةِ قَائِمَةٌ صَغِيرَةٌ ظَرِيفَةٌ بَيْضَاءُ، أَمَّا أَنْتَ فَلَكَ قَائِمَةٌ قَبِيحَةٌ سَوْدَاءُ، إِنَّكَ الذِّئْبُ اِذْهَبْ مِنْ هُنَا ! »

رَكَضَ الذِّئْبُ مَرَّةً أُخْرَى نَحْوَ الْقَرْيَةِ، وَ تَوَجَّهَ إِلَى الْخَبَّازِ وَ سَرَقَ مِنْهُ طَحِينًا . طَلَى قَوَائِمَهُ الْأَمَامِيَّةَ بِالطَّحِينِ وَ عَادَ يَطْرُقُ بَابَ الْجِدْيَانِ الصِّغَارِ : « إِنَّنِي أُمُّكُمُ الْعَنْزَةُ، اِفْتَحُوا لِي بِسُرْعَةٍ. » وَ بِمَا أَنَّهُ قَدْ صَارَ لَهُ صَوْتٌ لَطِيفٌ وَ قَائِمَةٌ بَيْضَاءُ، فَتَحَ الْجِدْيَانُ الصِّغَارُ لَهُ الْبَابَ. فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدْيَانُ أَنَّهَا فَتَحَتِ الْبَابَ لِلذِّئْبِ، صَاحَتْ ذُعْرًا وَ سَارَعَتْ لِلِاخْتِبَاءِ فِي الْبَيْتِ :

لَكِنَّ الذِّئْبَ عَثَرَ عَلَيْهَا كُلَّهَا وَ ابْتَلَعَهَا وَاحِدًا وَرَاءَ الْآخَرِ بِاسْتِثْنَاءِ الَّذِي كَانَ مُخْتَبِئًا فِي السَّاعَةِ الْجِدَارِيَّةِ. بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ وَصَلَتِ الْعَنْزَةُ الْأُمُّ مِنَ السُّوقِ، وَ رَأَتِ الْبَابَ مَفْتُوحًا وَ الْبَيْتَ مُخَرَّبًا فَصَاحَتْ : « مَا الَّذِي يَحْدُثُ هُنَا ؟ أَيُّهَا الْجِدْيَانُ الصِّغَارُ أَيْنَ أَنْتِ ؟ أَجِيبِينِي ! » خَرَجَ الْجَدْيُ الصَّغِيرُ الَّذِي كَانَ يَخْتَبِئُ فِي عُمْقِ السَّاعَةِ الْكَبِيرَةِ وَ قَصَّ عَلَيْهَا مَا حَدَثَ. قَالَتِ الْأُمُّ : « لَا عَلَيْكَ إِنِّي رَأَيْتُ الذِّئْبَ نَائِمًا قُرْبَ النَّهْرِ، سَنَتَمَكَّنُ مِنْ إِنْقَاذِ إِخْوَتِكَ وَأَخَوَاتِكَ. اِذْهَبْ بِسُرْعَةٍ وَ اَحْضِرْ لِي عُدَّةَ الْخِيَاطَةِ : الْمِقَصَّ وَ خَيْطًا وَ إِبْرَةً. سَارَعَ الْجَدْيُ الصَّغِيرُ إِلَى تَلْبِيَةِ طَلَبِ أُمِّهِ ». ذَهَبَتِ الْأُمُّ الْعَنْزَةُ وَ الْجَدْيُ الصَّغِيرُ بِاتِّجَاهِ ضِفَّةِ النَّهْرِ.

اِقْتَرَبَتْ بِحَذَرٍ مِنَ الذِّئْبِ الَّذِي كَانَ يَغُطُّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ وَ فَتَحَتْ بَطْنَهُ : كْرِيكْ ! كْرَاكْ !كْرِيكْ ! خَرَجَ الْجِدْيَانُ الصِّغَارُ وَاحِدًا وَرَاءَ الْآخَرِ، مُنْتَفِضَةً فَرِحَةً لِكَوْنِهَا وَجَدَتْ نَفْسَهَا خَارِجًا.

قَالَتِ الْعَنْزَةُ الْأُمُّ : « عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يُحْضِرَ لِي قِطْعَةَ حَجَرٍ مُدَوَّرَةً وَ ثَقِيلَةً ». ذَهَبَ الْجِدْيَانُ الصِّغَارُ لِإِحْضَارِ الْحَجَرِ لِأُمِّهَا.

وَ ضَعَتِ الْأُمُّ كُلَّ الْحِجَارَةِ فِي بَطْنِ الذِّئْبِ وَ أَعَادَتْ خِيَاطَتَهُ، وَ لِأَنَّ الذِّئْبَ كَانَ يَغُطُّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ لَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ ! وَ قَالَتِ الْعَنْزَةُ الْأُمُّ : « الْآنَ يَا أَبْنَائِي سَنَعُودُ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ الذِّئْبُ ! »

لَمْ يَكُنِ الْجِدْيَانُ الصِّغَارُ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ تُعِيدَ عَلَيْهِمْ أُمُّهُمْ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ،
فَذَهَبَتْ مُسْرِعَةً مَعَهَا. وَ عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ الذِّئْبُ، شَعَرَ بِثِقَلٍ كَبِيرٍ فِي
جِسْمِهِ فَقَالَ لِنَفْسِهِ : « إِنَّنِي أَكَلْتُ الْكَثِيرَ مِنَ الْجِدْيَانِ الصِّغَارِ فِي
غَدَائِي، مِنَ الْأَحْسَنِ أَنْ أَذْهَبَ لِأَشْرَبَ قَلِيلًا، سَيُسَاعِدُنِي
ذَلِكَ عَلَى الْهَضْمِ ! » انْحَنَى الذِّئْبُ فَوْقَ النَّهْرِ.
وَ لَمَّا كَانَتِ الْحِجَارَةُ الَّتِي فِي مَعِدَّتِهِ ثَقِيلَةً
جِدًّا سَقَطَ فِي النَّهْرِ وَ غَرِقَ. وَ لَمْ يَعُدْ
أَحَدٌ يَسْمَعُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ هَذَا
الذِّئْبِ الشِّرِّيرِ.

جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ الصَّغِيرُ

(مقتبس من حكايات هانس كريستيان أندرسن)

كَانَ يَا مَا كَانَ، خَمْسٌ وَ عِشْرُونَ جُنْدِيَّ رَصَاصٍ، كُلُّهُمْ إِخْوَةٌ مُنْحَدِرُونَ جَمِيعًا مِنْ مِلْعَقَةٍ قَدِيمَةٍ مِنَ الرَّصَاصِ. كَانُوا مُمْسِكِينَ بِالسِّلَاحِ فِي الْأَيْدِي وَ الرُّؤُوسُ مَرْفُوعَةٌ. وَ كَانَتْ بَزَّاتُهُمْ حَمْرَاءَ وَ زَرْقَاءَ. أَوَّلُ مَا سَمِعُوا بَعْدَ أَنْ رُفِعَ غِطَاءُ عُلْبَتِهِمْ هُوَ صَيْحَةُ طِفْلٍ صَغِيرٍ اسْتَلَمَهُمْ كَهَدِيَّةٍ بِمُنَاسَبَةِ عِيدِ مِيلَادِهِ : « جُنُودُ الرَّصَاصِ ! » وَ هَا هُوَ الآنَ يُنَظِّمُهُمْ فَوْقَ الطَّاوِلَةِ. كَانَ كُلُّ الْجُنُودِ مُتَشَابِهِينَ، إِلَّا وَاحِدًا، كَانَ بِرِجْلٍ وَاحِدَةٍ. وَ لَكِنَّهُ يَقِفُ بِنَفْسِ الصَّرَامَةِ، كَالآخَرِينَ الَّذِينَ يَقِفُونَ عَلَى رِجْلَيْنِ.

عَلَى الطَّاوِلَةِ الَّتِي كَانَ يَنْتَظِمُ جُنُودُ الرَّصَاصِ فَوْقَهَا . كَانَ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ اللُّعَبِ الْأُخْرَى، أَبْرَزُهَا كَانَ قَصْرًا جَمِيلًا مِنْ وَرَقٍ، وَ مِنْ خِلَالِ نَوَافِذِهِ الصَّغِيرَةِ كَانَ يُمْكِنُ رُؤْيَةُ مَا بِدَاخِلِ غُرَفِهِ. وَ فِي الْخَارِجِ كَانَتْ أَشْجَارٌ صَغِيرَةٌ تُحِيطُ بِمِرْآةٍ تُمَثِّلُ بِرْكَةَ مَاءٍ وَ كَانَتْ تَنْعَكِسُ عَلَيْهَا صُوَرٌ بَجَعَاتٍ شَمْعِيَّةٍ. كُلُّ ذَلِكَ كَانَ جَمِيلًا وَ لَكِنَّ الْأَجْمَلَ هُوَ أَنَّ فَتَاةً صَغِيرَةً كَانَتْ مَوْجُودَةً أَمَامَ بَابِ الْقَصْرِ الْوَرَقِيِّ، هِيَ الْأُخْرَى كَانَتْ مِنْ وَرَقٍ، وَكَانَتْ تَرْتَدِي تَنُّورَةً مِنَ التُّولِ وَ عَلَيْهَا شَرِيطٌ نَحِيلٌ أَزْرَقُ كَوِشَاحٍ، فِي وَسَطِهِ كَانَتْ تَلْمَعُ مِيدَالِيَّةٌ فِي حَجْمِ وَجْهِهَا. وَ لِأَنَّهَا رَاقِصَةٌ، كَانَتِ الْفَتَاةُ تَمُدُّ ذِرَاعَيْهَا فِي الْهَوَاءِ، وَ تَرْفَعُ إِحْدَى سَاقَيْهَا عَالِيًا. لَمْ يَسْتَطِعِ الْجُنْدِيُّ الصَّغِيرُ إِدْرَاكَ وُجُودِهَا بِسَاقَيْنِ. كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا مِثْلُهُ بِسَاقٍ وَاحِدَةٍ.

قَالَ فِي نَفْسِهِ : « لَعَلَّهَا سَتَكُونُ امْرَأَةً مِثَالِيَّةً لِي، وَ لِأَنَّهَا تَبْدُو جِدُّ مُمَيَّزَةٍ فَهِيَ تَسْكُنُ قَصْرًا عَظِيمًا، أَمَّا أَنَا فَفِي عُلْبَةٍ فَقَطْ حَيْثُ نَتَزَاحَمُ نَحْنُ الْخَمْسَةُ وَ الْعِشْرُونَ. رَغْمَ هَذَا عَلَيَّ أَنْ أُحَاوِلَ التَّعَرُّفَ عَلَيْهَا ». وَ اخْتَفَى وَرَاءَ عُلْبَةِ التَّبْغِ الْخَشَبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الطَّاوِلَةِ. وَ مِنْ هُنَاكَ كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُشَاهِدَ بِإِعْجَابٍ الْفَتَاةَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي ظَلَّتْ وَاقِفَةً عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ دُونَ أَنْ تَفْقِدَ تَوَازُنَهَا.

عِنْدَمَا حَلَّ الْمَسَاءُ، دَخَلَ جُنُودُ الرَّصَاصِ إِلَى عُلْبَتِهِمْ وَ ذَهَبَ سُكَّانُ الْبَيْتِ إِلَى النَّوْمِ، فِي حِينِ ظَلَّ جُنْدِيُّنَا الصَّغِيرُ مُخْتَبِئًا وَرَاءَ عُلْبَةِ التَّبْغِ. عِنْدَمَا دَقَّتِ السَّاعَةُ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ، كَلَاكْ !، انْفَتَحَ الْغِطَاءُ وَ ظَهَرَ شَيْطَانٌ صَغِيرٌ ! فَعُلْبَةُ التَّبْغِ كَانَتْ فِي الْوَاقِعِ عُلْبَةَ الْمُفَاجَآتِ. قَالَ الشَّيْطَانُ الصَّغِيرُ : « يَا جُنْدِيَّ الرَّصَاصِ كُفَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ وَ ضَعْ عَيْنَيْكَ فِي جَيْبِكَ ! »، غَيْرَ أَنَّ الْجُنْدِيَّ تَظَاهَرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا. « انْتَظِرْ إِلَى الْغَدِ ! »، وَاصَلَ الشَّيْطَانُ الصَّغِيرُ.

فِي الْيَوْمِ التَّالِي عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ الْأَطْفَالُ وَضَعُوا جُنْدِيَّ الرَّصَاصِ عَلَى حَافَّةِ النَّافِذَةِ. فَجْأَةً انْفَتَحَتِ النَّافِذَةُ وَسَقَطَ مِنَ الطَّابِقِ الثَّالِثِ عَلَى رَأْسِهِ عَلَى الرَّصِيفِ.

وَسَقَطَ عَلَى قُبَّعَتِهِ، سَاقَاهُ فِي الْهَوَاءِ وَ حِرْبَتُهُ مَغْرُوسَةٌ بَيْنَ حِجَارَةِ الرَّصِيفِ. نَزَلَتِ الْخَادِمَةُ وَ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ لِلْبَحْثِ عَنْهُ وَ لَكِنَّهُمَا لَمْ يَجِدَاهُ. بَدَأَ الْمَطَرُ فِي السُّقُوطِ وَ فِي وَقْتٍ قَلِيلٍ تَحَوَّلَ إِلَى طُوفَانٍ حَقِيقِيٍّ.

بَعْدَ الْعَاصِفَةِ، مَرَّ طِفْلَانِ مُتَسَكِّعَانِ، قَالَ أَحَدُهُمَا : « هِيهْ !، هَا هُوَ جُنْدِيٌّ رَصَاصِيٌّ يَنْتَظِرُ فَقَطْ الْإِبْحَارَ ». صَنَعَا مَرْكَبًا بِجَرِيدَةٍ قَدِيمَةٍ وَ وَضَعَا فِيهِ جُنْدِيَّ الرَّصَاصِ وَ أَطْلَقَاهُ فِي الْقَنَاةِ الْمَائِيَّةِ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ. كَانَ الطِّفْلَانِ يَتْبَعَانِهِ وَ هُمَا يُصَفِّقَانِ. حَافَظَ جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ الَّذِي كَانَ يَتَرَنَّحُ فِي كُلِّ الِاتِّجَاهَاتِ عَلَى رَبَاطَةِ جَأْشِهِ. فَجْأَةً دَخَلَ الْمَرْكَبُ تَحْتَ خَشَبَةٍ كَانَتْ تُغَطِّي الْمَجْرَى وَ انْدَفَعَ فِي الْبَالُوعَةِ. « إِنَّ الْمَكَانَ مُظْلِمٌ كَمَا فِي عُلْبَتِي. أَيْنَ أَنَا ذَاهِبٌ الآنَ ؟ آهٍ لَوْ كَانَتْ عَلَى الْأَقَلِّ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ مَعِي ! »

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ظَهَرَ جُرْذٌ سَمِينٌ وَ صَاحَ بِهِ : « جَوَازُ السَّفَرِ !، جَوَازُ السَّفَرِ !، هَيَّا أَسْرِعْ ! » لَمْ يَرُدَّ جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ وَ أَمْسَكَ بِقُوَّةٍ بُنْدُقِيَّتَهُ. كَانَ التَّيَّارُ يَدْفَعُهُ نَحْوَ مَخْرَجِ الْبَالُوعَةِ الَّتِي كَانَتْ تَصُبُّ فِي النَّهْرِ. دَارَ الْمَرْكَبُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ حَوْلَ نَفْسِهِ، امْتَلَأَ مَاءً ثُمَّ غَرِقَ. لِحُسْنِ الْحَظِّ تَمَزَّقَتِ الْجَرِيدَةُ وَ مَرَّ الْجُنْدِيُّ عَبْرَهَا. فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ابْتَلَعَتْهُ سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ. فَكَّرَ جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ : « إِنَّ الْمَكَانَ أَكْثَرُ ظَلَامًا مِنْ ذِي قَبْلُ ».

مَكَثَ سَاكِنًا مُمْسِكًا بِسِلَاحِهِ. كَانَتِ السَّمَكَةُ تَتَحَرَّكُ فِي كُلِّ الِاتِّجَاهَاتِ. فَجْأَةً تَوَقَّفَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ. رَأَى جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ نُورَ النَّهَارِ وَ سَمِعَ صَوْتًا يَصِيحُ : « انْظُرُوا مَاذَا وَجَدْتُ فِي بَطْنِ السَّمَكَةِ..! جُنْدِيٌّ مِنَ الرَّصَاصِ ! » كَانَتِ الطَّبَّاخَةُ، اشْتَرَتِ السَّمَكَةَ مِنَ السُّوقِ لِتُحَضِّرَهَا لِلْغَدَاءِ. وَ هَكَذَا أَخَذَتِ الْجُنْدِيَّ الصَّغِيرَ إِلَى الصَّالُونِ، يَا لَلْمُفَاجَأَةِ ! تَعَرَّفَ عَلَى الْأَطْفَالِ وَ لُعَبِهِمْ وَ قَصْرِ الْوَرَقِ الْجَمِيلِ وَ الرَّاقِصَةِ الصَّغِيرَةِ الْفَاتِنَةِ. كَانَتْ تَقِفُ بِبُطُولَةٍ فِي نَفْسِ الْوَضْعِيَّةِ. الرِّجْلُ مَمْدُودَةٌ نَحْوَ الْأَعْلَى وَ هُوَ مَا أَثَارَ عَوَاطِفَهُ. نَظَرَ إِلَيْهَا ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ أَيْضًا وَ لَكِنَّهُمَا لَمْ يَتَفَوَّهَا بِكَلِمَةٍ. فَجْأَةً وَ بِلَا سَبَبٍ، أَمْسَكَ بِهِ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ وَ رَمَاهُ فِي النَّارِ.

شَعَرَ جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ بِحَرَارَةٍ رَهِيبَةٍ. كَانَ يُحِسُّ بِالذَّوَبَانِ، وَ شَيْئًا فَشَيْئًا فَقَدَ شَكْلَهُ وَ لَكِنَّهُ اسْتَمَرَّ فِي النَّظَرِ إِلَى الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ وَ هُوَ مُمْسِكٌ بِقُوَّةٍ بِبُنْدُقِيَّتِهِ. فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ دَخَلَ تَيَّارٌ هَوَائِيٌّ رَمَى بِالرَّاقِصَةِ إِلَى النَّارِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْجُنْدِيِّ. وَ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ اخْتَفَتْ فِي اللَّهَبِ.

فِي الصَّبَاحِ الْمُوَالِي جَاءَتِ الْخَادِمَةُ وَ كَنَسَتِ الرَّمَادَ مِنَ الْمِدْفَأَةِ، وَ وَجَدَتْ قَلْبًا صَغِيرًا مِنَ الرَّصَاصِ وَ مِيدَالِيَّةً جَعَلَتْهَا النَّارُ سَوْدَاءَ كَالْفَحْمِ.

بَائِعَةُ الْكِبْرِيتِ

(مقتبس من حكايات هانس كريستيان أندرسن)

كَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ، كَانَ الْجَوُّ بَارِدًا جِدًّا فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ. و اللَّيْلُ شَدِيدَ السَّوَادِ وَ الثَّلْجُ يَتَسَاقَطُ بِغَزَارَةٍ. فِي هَذَا الظَّلَامِ الدَّامِسِ، كَانَتْ فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ تَمْشِي فِي الشَّارِعِ عَارِيَةَ الرَّأْسِ حَافِيَةَ الْقَدَمَيْنِ. عِنْدَمَا غَادَرَتْ بَيْتَهَا الْفَقِيرَ، كَانَتْ تَنْتَعِلُ خُفَّيْنِ قَدِيمَيْنِ وَ أَكْبَرَ مِنْ حَجْمِ قَدَمَيْهَا بِكَثِيرٍ. وَ لَمَّا كَانَتْ تَقْطَعُ الطَّرِيقَ فَقَدَتْهُمَا بَيْنَ عَرَبَتَيْنِ. اِخْتَفَتْ فَرْدَةٌ تَحْتَ عَجَلَةِ عَرَبَةٍ مُسْرِعَةٍ وَ خَطَفَ طِفْلٌ الْفَرْدَةَ الْأُخْرَى الَّتِي كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهَا زَوْرَقًا.

كَانَتِ الطِّفْلَةُ تُهَرْوِلُ بِقَدَمَيْهَا الْحَافِيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ اِزْرَقَّتَا مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ، وَ هِيَ تَحْمِلُ فِي مِئْزَرِهَا الْبَائِسِ كَمِّيَّةً كَبِيرَةً مِنَ الْكِبْرِيتِ. وَ كَانَتْ عُلْبَةٌ مِنْهُ فِي يَدِهَا. كَانَ يَوْمُهَا سَيِّئًا إِذْ لَمْ يَشْتَرِ مِنْهَا أَحَدٌ وَ لَوْ عُودَ كِبْرِيتٍ. كَانَتْ تَشْعُرُ بِالْبَرْدِ وَ الْجُوعِ وَ كَانَتْ خَائِفَةً جِدًّا مِنَ الْعَوْدَةِ إِلَى بَيْتِهَا، لِأَنَّ وَالِدَهَا سَيَضْرِبُهَا إِنْ رَآهَا تَرْجِعُ بِدُونِ فِلْسٍ وَاحِدٍ. كَانَ الثَّلْجُ يَسْتَمِرُّ فِي التَّسَاقُطِ. وَ كَانَتْ أَنْدَافُ الثَّلْجِ الْمُبَعْثَرَةُ عَلَى خُصْلَاتِ شَعْرِهَا الْأَشْقَرِ الْمُتَمَوِّجِ تُشْبِهُ رِيشَ بَجَعٍ أَبْيَضَ ؛ لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَهْتَمُّ بِشَعْرِهَا. كَانَتْ تَعْرِفُ فَقَطْ أَنَّهَا لَيْلَةُ رَأْسِ السَّنَةِ، وَ أَنَّ جَمِيعَ الْأَطْفَالِ سَيَجْتَمِعُونَ مَعَ آبَائِهِمْ فِي وَلِيمَةٍ كَبِيرَةٍ.

جَلَسَتِ الطِّفْلَةُ بَيْنَ مَنْزِلَيْنِ وَ هِيَ تَرْتَعِشُ مُتَجَمِّدَةً. لِمَاذَا سَتَعُودُ إِلَى بَيْتِهَا فَتَجِدُ وَالِدَهَا غَاضِبًا وَ الْبَرْدُ لَا يَخْتَلِفُ عَنِ الْخَارِجِ ؟ فَقَدْ كَانَتِ الرِّيحُ تَعْصِفُ فِي الدَّاخِلِ مُخْتَرِقَةً الشُّقُوقَ الْكَثِيرَةَ فِي الْجُدْرَانِ. كَانَتِ الْمِسْكِينَةُ بِالْكَادِ تَسْتَطِيعُ تَحْرِيكَ أَصَابِعِهَا الَّتِي جَمَّدَهَا الْبَرْدُ. قَالَتْ إِنَّ عُودَ كِبْرِيتٍ وَاحِدٍ فَقَطْ سَيُدْفِئُهَا. أَشْعَلَتْ وَاحِدًا. سَمِعَتْ كَرْكَرَةً مَرِحَةً وَ صَعَدَتِ الشُّعْلَةُ وَاضِحَةً وَ دَافِئَةً بَيْنَ يَدَيْهَا. شَعَرَتِ الطِّفْلَةُ فَجْأَةً أَنَّهَا جَالِسَةٌ أَمَامَ مِدْفَأَةٍ نُحَاسِيَّةٍ كَبِيرَةٍ. وَ هَا هِيَ تُمَدِّدُ رِجْلَيْهَا لِتُدَفِّئَهُمَا أَيْضًا. لَكِنَّ الْأَوَانَ قَدْ فَاتَ. اِخْتَفَتِ الْمِدْفَأَةُ بِدِفْئِهَا وَ لَمْ يَبْقَ سِوَى عُودِ كِبْرِيتٍ أَسْوَدَ بَيْنَ أَصَابِعِهَا.

قَرَّرَتِ الطِّفْلَةُ أَنْ
تُشْعِلَ عُودًا آخَرَ وَ كَانَتْ شُعْلَتُهَا أَكْثَرَ
إِشْرَاقًا وَ أَكْثَرَ بَهَاءً. كَانَ يُمْكِنُ لِلْفَتَاةِ أَنْ تَرَى حُجْرَةً بِهَا
طَاوِلَةٌ مُزَيَّنَةٌ بِخَزَفٍ جَمِيلٍ. كَانَتْ إِوَزَّةٌ كَبِيرَةٌ مُحَمَّرَةٌ جَيِّدًا مَوْضُوعَةً
عَلَى طَبَقٍ جَمِيلٍ. فَجْأَةً انْزَلَقَتِ الْإِوَزَّةُ مِنَ الطَّاوِلَةِ وَ اخْتَفَتْ وَ لَمْ يَبْقَ أَمَامَ
الْفَتَاةِ إِلَّا الشَّارِعُ الرَّمَادِيُّ الْبَارِدُ. كَانَ ذَلِكَ لَا يُطَاقُ. كَانَتِ الطِّفْلَةُ تُرِيدُ أَنْ
تَرَى مُجَدَّدًا تِلْكَ الْمِدْفَأَةَ الَّتِي كَانَتْ تَشِعُّ الدِّفْءَ وَ تِلْكَ الْإِوَزَّةَ اللَّذِيذَةَ الَّتِي
كَانَتْ تَصِلُهَا رَائِحَتُهَا

أَشْعَلَتِ التَّاجِرَةُ الصَّغِيرَةُ عُودًا ثَالِثًا، وَرَأَتْ
نَفْسَهَا تَتَنَقَّلُ لِتَوِّهَا فِي بَيْتٍ جَمِيلٍ حَيْثُ
كَانَتْ شَجَرَةُ عِيدِ مِيلَادٍ تَلْمَعُ بِزِينَتِهَا
الْمُبْهِرَجَةِ، وَ كُرَاتٍ مِنْ كُلِّ الْأَلْوَانِ.

وَ كَانَتْ فَوَاكِهُ وَ لُعَبٌ مُعَلَّقَةٌ فِي الْأَغْصَانِ أَيْضًا. وَ أَمْسَكَ بِيَدِهَا أَطْفَالٌ كَانُوا يَدُورُونَ حَوْلَ الشَّجَرَةِ وَ أَدْخَلُوهَا فِي دَائِرَتِهِمْ. أَرَادَتِ الْبِنْتُ أَنْ تَرْكُضَ أَيْضًا لَكِنَ اللَّيْلَ عَادَ مِنْ جَدِيدٍ.

بَدَأَتِ النُّجُومُ تَلْمَعُ فَوْقَ الشَّارِعِ الْمُظْلِمِ الْمَهْجُورِ. كَانَ بَعْضُ الْمَارَّةِ النَّادِرِينَ يُسْرِعُ الْخُطَى لِلِالْتِحَاقِ بِالْأَصْدِقَاءِ وَ الْعَائِلَاتِ. كَانُوا يَمْشُونَ بِخُطَى وَاسِعَةٍ دُونَ أَنْ يَرَوْا بَيْنَ الْمَنْزِلَيْنِ الْفَتَاةَ الَّتِي كَانَتْ مُنْكَمِشَةً عَلَى نَفْسِهَا وَ هِيَ تَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ.

مَرَّ شِهَابٌ تَارِكًا خَطًّا طَوِيلًا لَامِعًا، وَ خَمَّنَتِ الْبِنْتُ أَنَّ أَحَدَهُمْ سَيَمُوتُ. كَانَتْ جَدَّتَهَا الْعَجُوزَ، وَ هِيَ الشَّخْصُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُعَامِلُهَا بِالْحُسْنَى، قَدْ أَعْلَمَتْهَا بِذَلِكَ. عِنْدَمَا تَسْقُطُ نَجْمَةٌ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ رُوحًا صَعَدَتْ إِلَى السَّمَاءِ.

أُشْعِلَ عُودٌ آخَرُ، وَ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ظَهَرَتِ الْجَدَّةُ
كَمَا فِي الْمَاضِي بِطَبْعِهَا اللَّطِيفِ وَ الطَّيِّبِ
« جَدَّتِي إِبْقَيْ هُنَا، أَوْ خُذِينِي مَعَكِ لَا
تَتْرُكِينِي وَحْدِي. أَعْرِفُ أَنَّهُ عِنْدَمَا يَنْطَفِئُ
الْكِبْرِيتُ سَتَخْتَفِي كَكُلِّ الْأَشْيَاءِ
الَّتِي رَأَيْتُهَا حَتَّى الْآنَ كَالنَّارِ الَّتِي
كَانَتْ تُدَفِّئُنِي جَيِّدًا،

وَ الْإِوَزَّةُ الَّتِي كَانَتْ رَائِحَتُهَا طَيِّبَةً وَ شَجَرَةُ عِيدِ الْمِيلَادِ.
سَتَطِيرِينَ وَ أَبْقَى أَنَا وَحْدِي فِي شَارِعٍ مُظْلِمٍ دُونَ أَحَدٍ
يَرْعَانِي وَ يَأْخُذُنِي إِلَى بَيْتٍ لَنْ أَبْرُدَ فِيهِ وَ لَنْ أَجُوعَ ». أَفْزَعَتْهَا
فِكْرَةُ أَنْ تَبْقَى وَحِيدَةً مِنْ جَدِيدٍ فَأَشْعَلَتْ كُلَّ عُلْبَةِ الْكِبْرِيتِ.
ظَهَرَتْ جَدَّتُهَا مِنْ جَدِيدٍ وَ كَانَتْ جَمِيلَةً فِي فُسْتَانِ الْقَطِيفَةِ الْأَسْوَدِ
الَّذِي كَانَتْ لَا تَرْتَدِيهِ إِلَّا فِي الْأَعْيَادِ. كَانَتِ الْعَجُوزُ تَبْتَسِمُ بِحَنَانٍ
لِحَفِيدَتِهَا الَّتِي أَخَذَتْهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا. وَ ارْتَفَعَتِ الْاثْنَتَانِ نَحْوَ السَّمَاءِ
فِي نُورِ عُلْبَةِ الْكِبْرِيتِ الْكَبِيرَةِ وَ وَصَلَتَا إِلَى الْجَنَّةِ.

طَلَعَ نَهَارُ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ وَ كَانَ مُكْفَهِرًّا وَ رَمَادِيًّا. اِكْتَشَفَ مَارٌّ فِي زَاوِيَةٍ طِفْلَةً صَغِيرَةً بِخُصْلَاتِ شَعْرٍ مَتَمَوِّجَةٍ بِدُونِ حَيَاةٍ. وَ كَانَ مِنْ حَوْلِهَا بَقَايَا أَعْوَادِ كِبْرِيتٍ مُحْتَرِقَةٍ.

فَكَّرَ الرَّجُلُ أَنَّ الْفَتَاةَ الصَّغِيرَةَ أَرَادَتْ أَنْ تُدَفِّئَ نَفْسَهَا وَ لَمْ يَشُكَّ أَنَّ الطِّفْلَةَ قَدْ غَادَرَتِ الْعَالَمَ فِي ضَوْءٍ جَمِيلٍ مُمْسِكَةً بِيَدِ جَدَّتِهَا.

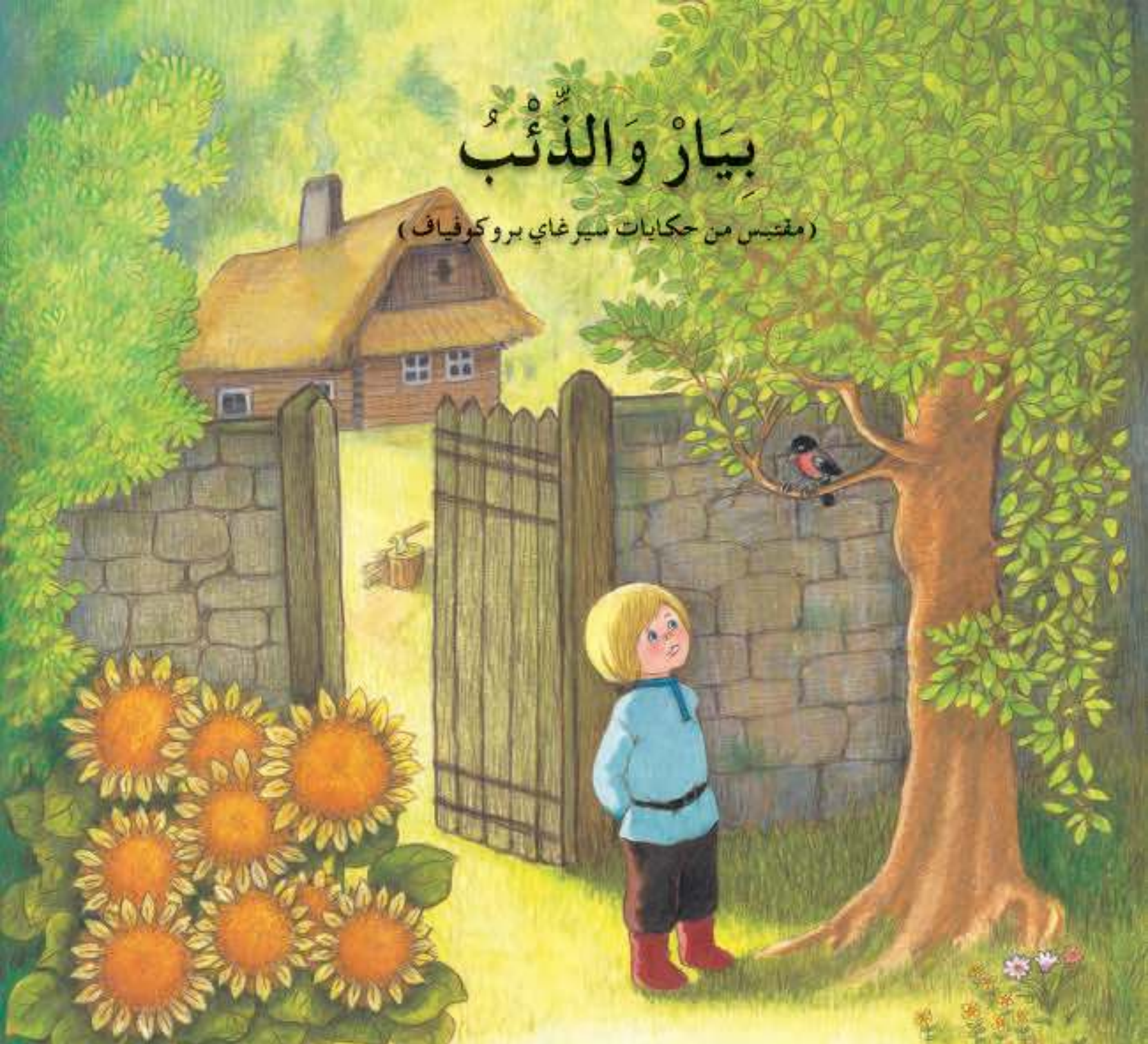

بِيَارْ وَالذِّئْبُ

(مقتبس من حكايات سيرغاي بروكوفياف)

كَانَ يَا مَا كَانَ، فِي بِلَادٍ تُدْعَى رُوسْيَا طِفْلٌ صَغِيرٌ يُسَمَّى بِيَارْ. كَانَ يُقِيمُ مَعَ جَدِّهِ فِي بَيْتٍ خَشَبِيٍّ جَمِيلٍ.

وَ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ أَرَادَ بِيَارْ أَنْ يَسْتَمْتِعَ بِالْهَوَاءِ الْعَلِيلِ، فَخَرَجَ مِنْ حَدِيقَةِ جَدِّهِ وَ تَرَكَ الْبَوَّابَةَ مَفْتُوحَةً وَرَاءَهُ. غَيْرَ بَعِيدٍ كَانَتْ شَجَرَةٌ كَبِيرَةٌ قَدْ نَمَتْ، عَثَرَ بِيَارْ عِنْدَهَا عَلَى صَدِيقِهِ الْعُصْفُورِ الصَّغِيرِ.

عِنْدَمَا وَجَدَتِ الْبَطُّةُ الْبَوَّابَةَ مَفْتُوحَةً، اغْتَنَمَتِ الْفُرْصَةَ هِيَ أَيْضًا لِتَخْرُجَ وَ تَغْطِسَ فِي الْبِرْكَةِ. حَطَّ الْعُصْفُورُ الصَّغِيرُ عَلَى ضِفَّةِ الْبِرْكَةِ وَرَاحَ يَسْخَرُ مِنْهَا :

« أَرَاكِ دَوْمًا تَسْبَحِينَ أَيَّتُهَا الْبَطَّةُ أَوْ تَمْشِينَ. أَيُّ طَائِرٍ أَنْتِ إِنْ لَمْ تَقْدِرِي عَلَى الطَّيَرَانِ ؟ » أَجَابَتْهُ الْبَطَّةُ : « وَ أَنْتَ، أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الطُّيُورِ أَنْتَ إِنْ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنَ السِّبَاحَةِ ؟ » وَ اسْتَمَرَّ الْجِدَالُ بَيْنَهُمَا وَ كُلُّ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ الْأَخِيرَةُ لَهُ. غَيْرَ بَعِيدٍ عَنْهُمَا، كَانَ الْقِطُّ يَتَجَوَّلُ. وَ بِحَذَرٍ وَ بِصَمْتٍ رَاحَ يَتَسَلَّلُ بَيْنَ الْأَعْشَابِ الْعَالِيَةِ، وَ كَانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ وَ هُوَ يَسْتَمِعُ إِلَى صَوْتِ الْعُصْفُورِ الصَّغِيرِ : « يَا لَهَا مِنْ تَغْرِيدَةٍ ! سَيَكُونُ حَسَبَ مَا أَرَى غِذَاءً لَذِيذًا ». وَ بَدَأَ يَقْتَرِبُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ. صَاحَ بِيَارْ : « حَذَارِ ! »

وَ لَمْ يَكُنْ لِلْعُصْفُورِ مِنَ الْوَقْتِ غَيْرُ الْقَلِيلِ لِيَطِيرَ وَ يَتَشَبَّثَ بِالْغُصْنِ. أَمَّا الْبَطَّةُ الَّتِي بَقِيَتْ وَسَطَ الْبِرْكَةِ فَكَانَتْ تُطْلِقُ تُجَاهَ الْقِطِّ وَقْوَقَاتٍ كَبِيرَةً غَاضِبَةً. نَظَرَ الْقِطُّ إِلَى الْعُصْفُورِ الصَّغِيرِ وَ هُوَ يَتَسَاءَلُ : « هَلْ مِنْ فَائِدَةٍ فِي أَنْ أَتَسَلَّقَ الشَّجَرَةَ وَ أُتْعِبَ نَفْسِي مِنْ أَجْلِ هَذَا الطَّائِرِ اللَّعِينِ ؟

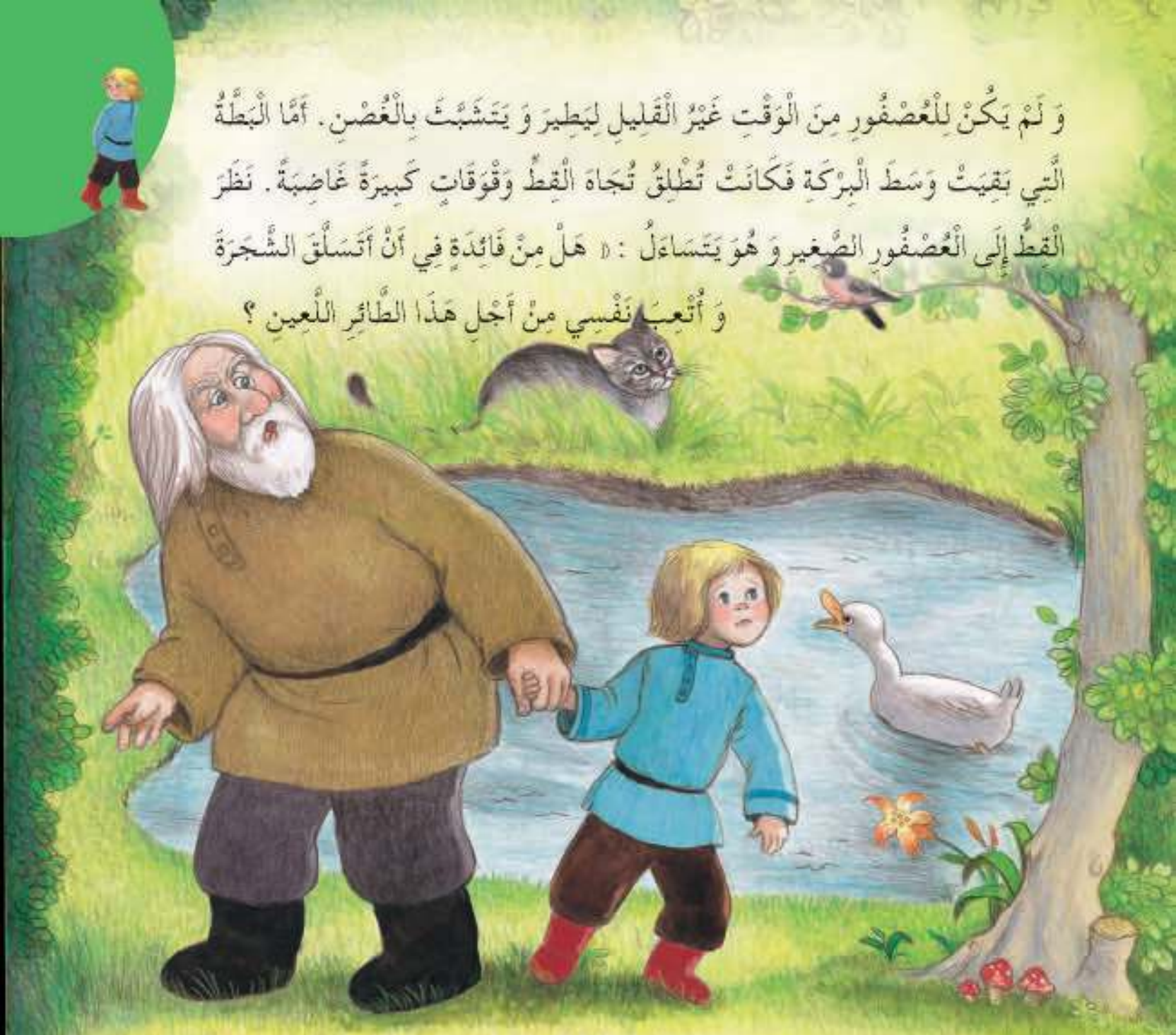

كَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ طَارَ بَعِيدًا عَنْدَمَا أَصِلُ أَنَا إِلَى الْأَعْلَى ». فِي ذَلِكَ الْحِينِ خَرَجَ الْجَدُّ مِنَ الْبَيْتِ. صَاحَ بِغَضَبٍ : « بِيَارْ !، أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَنْ لَا تُغَادِرَ الْحَدِيقَةَ ؟ وَ كَيْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ لَوْ ظَهَرَ الذِّئْبُ ؟ هَيَّا ارْجِعْ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْبَيْتِ ». وَ لَكِنَّ بِيَارْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَبُرَ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةَ لِكَيْ يَخْرُجَ لِلتَّنَزُّهِ حَيْثُمَا أَرَادَ وَ لَمْ يَعُدْ يَخَافُ مِنَ الذِّئَابِ مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ. غَيْرَ أَنَّ جَدَّهُ سَحَبَهُ بِحَزْمٍ مِنْ يَدِهِ، وَ جَرَّهُ نَحْوَ الْبَيْتِ بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَ بِعِنَايَةٍ بَوَّابَةَ الْحَدِيقَةِ.

وَ حَسَنًا فَعَلَ، إِذْ بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ خَرَجَ ذِئْبٌ كَبِيرٌ أَسْوَدُ مِنَ الْغَابَةِ. بِهَلَعٍ قَفَزَ الْقِطُّ إِلَى الشَّجَرَةِ. أَمَّا الْبَطَّةُ الْمِسْكِينَةُ فَقَدِ انْطَلَقَتْ بِلَا حَذَرٍ خَارِجَ الْبِرْكَةِ وَ هِيَ تُوَقْوِقُ. الذِّئْبُ الَّذِي رَآهَا كَانَ مُصَمِّمًا عَلَى الإِمْسَاكِ بِهَا. كَانَ يَقُولُ وَ هُوَ يَرْكُضُ : « مِيَامْ ! مِيَامْ !، سَأَسْتَمْتِعُ ». شَعَرَتِ الْبَطَّةُ وَ هِيَ فِي مُنْتَهَى الْفَزَعِ بِالذِّئْبِ يَقْتَرِبُ، وَ يَقْتَرِبُ أَكْثَرَ... إِنَّهُ هُنَا، قَرِيبًا جِدًّا، سَيَبْتَلِعُهَا. وَ ازْدَرَدَهَا فِي لُقْمَةٍ وَاحِدَةٍ. وَ بَعْدَ هَذِهِ الْمُقَبِّلَاتِ الصَّغِيرَةِ لَمْ يَشْبَعِ الذِّئْبُ، خَطَا بَعْضَ الْخُطُوَاتِ وَرَاحَ يَدُورُ حَوْلَ الشَّجَرَةِ. رَأَى الْقِطَّ مُتَشَبِّثًا بِغُصْنٍ عَلَى جِهَةٍ مِنَ الشَّجَرَةِ وَ هُوَ يَرْتَجِفُ. وَ فِي الْجِهَةِ الْأُخْرَى، فِي أَبْعَدِ مَكَانٍ مُمْكِنٍ عَنِ الْقِطِّ، كَانَ الْعُصْفُورُ الصَّغِيرُ سَاكِنًا فَوْقَ أَحَدِ الْأَغْصَانِ. وَ عَبْرَ سِيَاجِ الْحَدِيقَةِ كَانَ بِيَارْ يُتَابِعُ الْمَشْهَدَ بِاهْتِمَامٍ. لَمْ يَكُنْ خَائِفًا أَبَدًا. كَانَ جِدَارٌ كَبِيرٌ يُحِيطُ بِالْحَدِيقَةِ وَ كَانَتِ الشَّجَرَةُ عَلَى الْجِهَةِ الْأُخْرَى مُبَاشَرَةً. وَ أَحَدُ أَغْصَانِهَا يَمْتَدُّ عَبْرَ الْجِدَارِ إِلَى دَاخِلِ الْحَدِيقَةِ. خَطَرَتْ لِبِيَارْ فِكْرَةٌ : أَمْسَكَ بِالْغُصْنِ وَ تَسَلَّقَ الشَّجَرَةَ وَ وَصَلَ إِلَى حَيْثُ الْعُصْفُورُ الصَّغِيرُ.

قَالَ لَهُ : « اِسْمَعْنِي جَيِّدًا، عَلَيْكَ أَنْ تَتَّبِعَ بِدِقَّةٍ تَعْلِيمَاتِي . عَلَيْكَ أَنْ تَطِيرَ فَوْقَ رَأْسِ الذِّئْبِ وَ أَنْتَ تَدُورُ فِي الْهَوَاءِ كَمَا تُحْسِنُ فِعْلَ ذَلِكَ . وَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَبْتَعِدَ عَنِ الشَّجَرَةِ . لَكِنْ حَذَارِ . . اِحْرِصْ جَيِّدًا عَلَى أَنْ لَا يُمْسِكَ بِكَ . هَلْ هَذَا مَفْهُومٌ ؟ » « بِالطَّبْعِ نَعَمْ »، أَجَابَ الْعُصْفُورُ .

نَزَلَ بِيَارْ وَقَفَزَ دَاخِلَ الحَدِيقَةِ. رَكَضَ نَحْوَ البَيْتِ وَجَلَبَ حَبْلًا غَلِيظًا وَصَنَعَ فِي طَرَفِهِ أُنْشُوطَةً. فِي ذَلِكَ الوَقْتِ كَانَ العُصْفُورُ الصَّغِيرُ يَطِيرُ فَوْقَ الأَنْيَابِ المُخِيفَةِ. كَمْ كَانَ ذَلِكَ يُثِيرُ أَعْصَابَ الذِّئْبِ!. وَكَمْ كَانَ الذِّئْبُ يَرْغَبُ فِي أَكْلِهِ! صَعَدَ بِيَارْ إِلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ وَرَاحَ يُدَوِّرُ الأُنْشُوطَةَ فِي الهَوَاءِ وَرَكَّزَ عَلَى فَمِ الذِّئْبِ وَرَمَاهَا بِأَقْصَى دِقَّةٍ مُمْكِنَةٍ. وَكَأَنَّهُ السِّحْرُ! إِذْ إِلْتَفَّتْ دَائِرَةُ الأُنْشُوطَةِ مُنْذُ المُحَاوَلَةِ الأُولَى عَلَى رَقَبَةِ الذِّئْبِ، وَبِسُرْعَةٍ جَذَبَ بِيَارْ الحَبْلَ لِيُضَيِّقَ الأُنْشُوطَةَ وَرَبَطَ الطَّرَفَ الآخَرَ مِنَ الحَبْلِ بِأَحَدِ الأَغْصَانِ. فَسَقَطَ الذِّئْبُ فِي الشَّرَكِ.

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ شَاهَدَ بْيَارْ ثَلَاثَةَ صَيَّادِينَ قَادِمِينَ مِنَ الْغَابَةِ عَلَى أَثَرِ الذِّئْبِ.
كَانَتْ لَهُمْ أَيَّامٌ وَ أَيَّامٌ وَ هُمْ يَتْبَعُونَ أَثَرَهُ. صَاحَ فِي اتِّجَاهِهِمْ : « لَا تُطْلِقُوا النَّارَ،
إِنَّنِي قَبَضْتُ عَلَى الذِّئْبِ..! الآنَ سَاعِدُونِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَى حَدِيقَةِ الْحَيَوَانَاتِ ! »
وَ فِي جَوٍّ مِنَ الِاحْتِفَالِ، وَ هُوَ يَعْبُرُ - مَزْهُوًّا - الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى حَدِيقَةِ الْحَيَوَانَاتِ
لِلْمَدِينَةِ الْكَبِيرَةِ الْمُجَاوِرَةِ، تَبِعَ بْيَارْ الصَّغِيرُ الصَّيَّادِينَ الثَّلَاثَةَ ؛ وَ كَانَ الْجَدُّ
يَمْشِي وَرَاءَهُمْ مَرْفُوقًا بِالْقِطِّ. وَ كَانَ الْعُصْفُورُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ يُغَنِّي طَرَبًا أُغْنِيَةً
تَقُولُ : « هَلْ رَأَيْتُمْ، هَلْ رَأَيْتُمْ ؟ أَنَا وَ بْيَارْ غَلَبْنَاهُ ! » أَمَّا الْجَدُّ، فَقَدْ خَطَبَ
مُتَمْتِمًا فِي لِحْيَتِهِ : « كُلُّ هَذَا جَمِيلٌ، لَكِنْ لَوْ أَنَّ بْيَارْ لَمْ يُفْلِحْ فِي الْقَبْضِ عَلَى
الذِّئْبِ، مَا كَانَ أَحَدٌ يَعْلَمُ مَا قَدْ يَقَعُ ؟ »

وَ إِذَا أَصْغَيْتَ السَّمْعَ كَانَ يُمْكِنُ سَمَاعَ صَوْتٍ خَافِتٍ يُنَادِي : « أَخْرِجُونِي مِنْ هُنَا !، أَخْرِجُونِي مِنْ هُنَا ! » كَانَتِ الْبَطَّةُ فِي عُمْقِ بَطْنِ الذِّئْبِ تُنَادِي وَ هِيَ تَتَحَرَّكُ، لِأَنَّ الذِّئْبَ بَلَعَهَا وَ هِيَ حَيَّةٌ ! لِحُسْنِ الْحَظِّ عِنْدَ الْوُصُولِ إِلَى حَدِيقَةِ الْحَيَوَانِ تَمَّ التَّمَكُّنُ مِنْ جَعْلِ الذِّئْبِ يَتَقَيَّأُ مَا فِي مَعِدَتِهِ وَ أُنْقِذَتِ الْبَطَّةُ الْمِسْكِينَةُ مِنْ مَوْتٍ فَظِيعٍ.

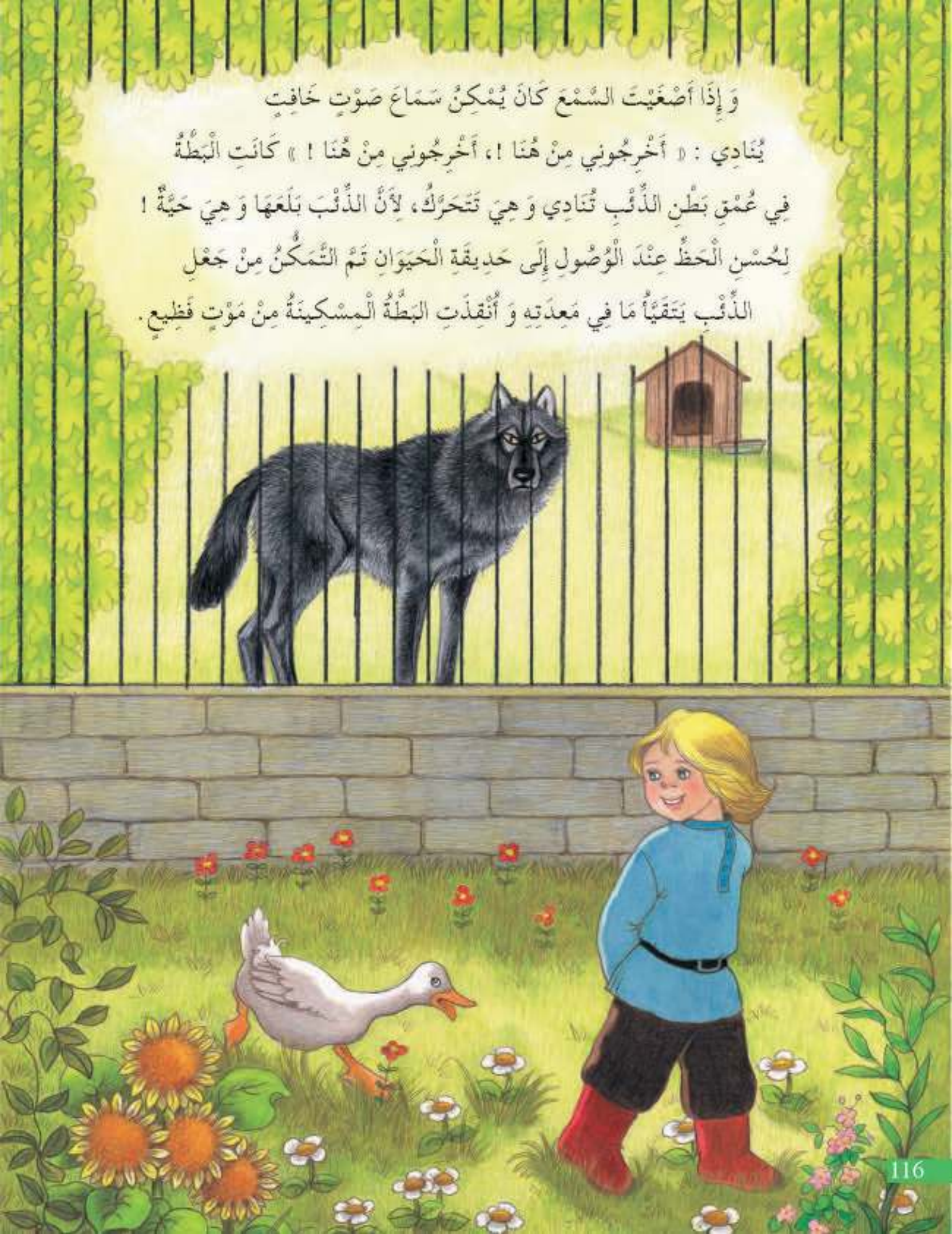

الْأَمِيرَةُ وَ الْعُلْجُومُ

(مقتبس من حكايات الإخوة غريم)

كَانَ يَا مَا كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، مَلِكٌ لَهُ بَنَاتٌ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ. وَكَانَتْ أَصْغَرُهُنَّ أَجْمَلَهُنَّ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِلَى دَرَجَةِ أَنَّ الشَّمْسَ الَّتِي رَأَتْهَا كَثِيرًا تَنْبَهِرُ عِنْدَمَا تُضِيءُ وَجْهَهَا.

غَيْرَ بَعِيدٍ عَنْ قَصْرِ الْمَلِكِ كَانَتْ تُوجَدُ غَابَةٌ كَثِيفَةٌ. هُنَاكَ تَحْتَ زَيْزَفُونَةٍ عَتِيقَةٍ كَانَتْ تَنْبُعُ عَيْنُ مَاءٍ، عِنْدَمَا تَشْتَدُّ دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ كَانَتِ الْأَمِيرَةُ الصَّغِيرَةُ تَلْجَأُ إِلَى حَافَّةِ النَّبْعِ. وَهُنَاكَ تَقْضِي وَقْتَهَا تَتَسَلَّى بِرَمْيِ كُرَةٍ ذَهَبِيَّةٍ بِيَدٍ لِتَتَلَقَّفَهَا بِالْيَدِ الْأُخْرَى، وَكَانَتْ تِلْكَ لُعْبَتَهَا الْمُفَضَّلَةَ.

فِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ، وَهِيَ تَلْعَبُ سَقَطَتْ مِنْهَا الْكُرَةُ الذَّهَبِيَّةُ فِي مَاءِ النَّبْعِ. انْطَلَقَتْ بِنْتُ الْمَلِكِ فِي بُكَاءٍ مُرٍّ، وَبَيْنَ حَشْرَجَتَيْنِ سَمِعَتْ صَوْتًا يُخَاطِبُهَا : « مَا بِكِ أَيَّتُهَا الْأَمِيرَةُ الْجَمِيلَةُ تُطْلِقِينَ صَرَخَاتٍ يُمْكِنُهَا أَنْ تُفَتِّتَ الْحَجَرَ ؟! » رَأَتِ الْفَتَاةُ ضِفْدَعًا يُطِلُّ بِوَجْهِهِ الْقَبِيحِ مِنْ تَحْتِ الْمَاءِ « آهٍ ! هَذَا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُبَلْبَطُ الْعَجُوزُ. سَقَطَتْ كُرَتِي الذَّهَبِيَّةُ فِي الْمَاءِ ! » قَالَ الضِّفْدَعُ : « لَا تَبْكِي. يُمْكِنُنِي مُعَالَجَةُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَاذَا سَتُعْطِينَنِي إِنْ أَعَدْتُ لَكِ لُعْبَتَكِ ؟ »

ـ كُلَّ مَا تُرِيدُ أَيُّهَا الضِّفْدَعُ الْعَزِيزُ. فَسَاتِينِي، لَآلِئِي، جَوَاهِرِي، حَتَّى تَاجِيَ الذَّهَبِيَّ.

أَجَابَ الضِّفْدَعُ : « أَنَا لَا أُرِيدُ فَسَاتِينَكِ وَ لَا لَآلِئَكِ وَ لَا جَوَاهِرَكِ وَ لَا حَتَّى تَاجَكِ الذَّهَبِيَّ. اِعْطِنِي فَقَطْ عَاطِفَتَكِ، اِقْبَلِينِي رَفِيقًا وَ صَدِيقَ أَلْعَابِكِ. أُرِيدُ أَنْ أَجْلِسَ إِلَى جَانِبِكِ عَلَى الطَّاوِلَةِ وَ آكُلَ مِنْ صَحْنِكِ الذَّهَبِيِّ وَ أَشْرَبَ مِنْ كَأْسِكِ وَ أَنَامَ فِي سَرِيرِكِ الصَّغِيرِ. إِنْ وَعَدْتِنِي بِذَلِكَ سَأَغْطِسُ وَ أُحْضِرُ لَكِ كُرَتَكِ الذَّهَبِيَّةَ ».

ـ أَعِدُكَ بِكُلِّ مَا تُرِيدُ، أَسْرِعْ وَ أَحْضِرْهَا.

وَ لَكِنَّ الْأَمِيرَةَ الصَّغِيرَةَ كَانَتْ تُفَكِّرُ خِلَافًا لِذَلِكَ : « فَقَدَ هَذَا الضِّفْدَعُ الْمِسْكِينُ عَقْلَهُ، كَيْفَ لَهُ وَ هُوَ الَّذِي يَقْضِي كُلَّ وَقْتِهِ يَنِقُّ فِي الْمَاءِ مَعَ بَقِيَّةِ الضَّفَادِعِ، أَنْ يَكُونَ رَفِيقَ أَمِيرَةٍ مِثْلِي ؟ قَدْ يَكُونُ جِدَّ مُمِلٍّ. »

بَعْدَ هَذَا الْوَعْدِ، غَطَسَ الضِّفْدَعُ ثُمَّ ظَهَرَ مِنْ جَدِيدٍ عَلى سَطْحِ الْمَاءِ حَامِلًا فِي فَمِهِ الْكُرَةَ الذَّهَبِيَّةَ وَ رَمَا بِهَا عَلَى الْعُشْبِ. حَمَلَتِ الْأَمِيرَةُ كُرَتَهَا فَكَانَتْ جِدُّ فَرِحَةٍ بِاسْتِرْجَاعِهَا، وَ ذَهَبَتْ رَاكِضَةً. صَاحَ الضِّفْدَعُ : « اِنْتَظِرِينِي، لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَجْرِيَ بِسُرْعَةٍ مِثْلَكِ ! » غَيْرَ أَنَّ الْأَمِيرَةَ الصَّغِيرَةَ لَمْ تَكُنْ مُكْتَرِثَةً بِصَيْحَاتِهِ، وَ دَخَلَتْ قَصْرَ وَالِدِهَا وَ نَسِيَتِ الضِّفْدَعَ. فِي الْيَوْمِ الْمُوَالِي، بَيْنَمَا كَانَتِ الْأَمِيرَةُ الصَّغِيرَةُ جَالِسَةً إِلَى الطَّاوِلَةِ مَعَ الْمَلِكِ وَ بَقِيَّةِ الْأُسْرَةِ سُمِعَ صَوْتٌ « فْلُوكْ فْلِيكْ فْلَاكْ »، شَيْءٌ كَانَ يَصْعَدُ عَلَى دَرَجَاتِ السُّلَّمِ الْمَرْمَرِيِّ الْكَبِيرِ، ثُمَّ طُرِقَ الْبَابُ وَ سُمِعَ صَوْتٌ يَقُولُ : « يَا بِنْتَ الْمَلِكِ الصُّغْرَى، اِفْتَحِي لِي ! »،

رَكَضَتِ الْأَمِيرَةُ لِتَرَى مَنْ كَانَ هُنَاكَ. عِنْدَمَا فَتَحَتِ الْبَابَ رَأَتِ الضِّفْدَعَ، فَأَعَادَتْ غَلْقَ الْبَابِ بِقُوَّةٍ وَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا إِلَى الطَّاوِلَةِ وَ هِيَ تَرْتَجِفُ.

رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ قَلْبَ ابْنَتِهِ كَانَ يَخْفِقُ بِقُوَّةٍ فَسَأَلَهَا : « يَا بُنَيَّتِي مِمَّ أَنْتِ خَائِفَةٌ ؟ هَلْ وَرَاءَ الْبَابِ عِمْلَاقٌ مَا يُرِيدُ خَطْفَكِ ؟ »

ـ لَا يَا أَبَتِ إِنَّهُ لَيْسَ عِمْلَاقًا بَلْ ضِفْدَعٌ قَبِيحٌ.

ـ وَ مَاذَا يُرِيدُ ؟ سَأَلَ الْمَلِكُ بِاسْتِغْرَابٍ.

ـ لِلْأَسَفِ يَا أَبَتَاهُ ! ـ شَكَتِ الْأَمِيرَةُ ـ ذَهَبْتُ بِالْأَمْسِ لِأَلْعَبَ فِي الْغَابَةِ بِالْقُرْبِ مِنَ النَّبْعِ وَ سَقَطَتْ كُرَتِي الذَّهَبِيَّةُ فِي الْمَاءِ، فَبَكَيْتُ كَثِيرًا. لَكِنْ هَذَا الضِّفْدَعُ غَطَسَ وَ أَعَادَهَا إِلَيَّ وَجَعَلَنِي أَعِدُهُ بِأَنْ أَقْبَلَهُ كَرَفِيقِ لَعِبٍ. لَمْ أَكُنْ أَتَصَوَّرُ أَبَدًا أَنَّهُ سَيَتْرُكُ النَّبْعَ وَ الْآنَ هَا هُوَ خَلْفَ الْبَابِ، وَ يُرِيدُ الدُّخُولَ. وَ فِعْلًا سَمِعَهُ يَطْرُقُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ وَ تَعَالَى صَوْتُ الضِّفْدَعِ يُنَادِي :

« إِبْنَةَ الْمَلِكِ الصُّغْرَى، إِفْتَحِي لِي ! هَلْ نَسِيْتِ الْوَعْدَ الَّذِي قَطَعْتِهِ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ ؟! »

قَالَ الْمَلِكُ بِحَزْمٍ : « يَا بُنَيَّتِي عَلَيْكِ أَن تَفِي بِالْوَعْدِ، أُتْرُكِي الضِفْدَعَ يَدْخُلُ ».

ذَهَبَتِ الْأَمِيرَةُ لِفَتْحِ الْبَابِ وَ تَبِعَهَا الضِّفْدَعُ حَتَّى الطَّاوِلَةِ وَ قَالَ لَهَا : « اِحْمِلِينِي حَتَّى يُمْكِنَنِي الْجُلُوسُ بِقُرْبِكِ ». تَرَدَّدَتِ الْأَمِيرَةُ، لَكِنَّ الْمَلِكَ أَمَرَهَا أَنْ تُطِيعَ. وَ بِمُجَرَّدِ أَنْ وَضَعَتِ الضِّفْدَعَ عَلَى الْكُرْسِيِّ قَفَزَ إِلَى الطَّاوِلَةِ « قَرِّبِي صَحْنَكِ الذَّهَبِيَّ الصَّغِيرَ، وَ لْنَأْكُلْ سَوِيًّا » نَفَذَتِ الْأَمِيرَةُ عَلَى مُضَضٍ. اِسْتَمْتَعَ الضِّفْدَعُ بَيْنَمَا لَمْ تَسْتَطِعِ الْأَمِيرَةُ بَلْعَ أَكْثَرَ مِنْ لُقْمَةٍ.

قَالَ الضِّفْدَعُ : « لَقَدْ أَكَلْتُ جَيِّدًا وَ أَشْعُرُ بِقَلِيلٍ مِنَ التَّعَبِ. حَانَ الْوَقْتُ لِنَذْهَبَ إِلَى النَّوْمِ ». بَدَأَتِ الْأَمِيرَةُ الصَّغِيرَةُ تَبْكِي، كَانَتْ تَخْشَى أَنْ يَلْمَسَهَا الضِّفْدَعُ الْقَبِيحُ وَ هِيَ لَا تَتَحَمَّلُ مُلَامَسَتَهُ اللَّزِجَةَ. غَيْرَ أَنَّ الْمَلِكَ غَضِبَ : « بُنَيَّتِي لَا يَجِبُ أَبَدًا أَنْ تَحْتَقِرِي مَنْ سَاعَدَكِ فِي الضَّرَّاءِ ». حَمَلَتِ الضِّفْدَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ وَصَعَدَتْ بِهِ إِلَى غُرْفَتِهَا وَ وَضَعَتْهُ فِي رُكْنٍ.

بِمُجَرَّدْ أَنِ اسْتَلْقَتِ الْأَمِيرَةُ صَاحَتِ الضِّفْدَعَةُ: «خُذِينِي مَعَكِ وَإِلَّا سَأُخْبِرُ وَالِدَكِ».
احْمَرَّتِ الْأَمِيرَةُ غَضَبًا وَحَمَلَتْهَا وَرَمَتْ بِهَا بِكُلِّ قِوَاهَا عَلَى الْجِدَارِ: «هَذَا لَكِ أَيَّتُهَا الضِّفْدَعَةُ الْقَبِيحَةُ». لَكِنْ يَالِلدَّهْشَةِ! عِنْدَمَا سَقَطَتْ لَمْ تَكُنْ ضِفْدَعَةً بَلْ أَمِيرًا جَمِيلًا ذَا عَيْنَيْنِ فَاتِنَتَيْنِ مَلِيئَتَيْنِ بِالْحَنَانِ. أَعْلَمَهَا أَنَّهُ تَعَرَّضَ لِسِحْرِ سَاحِرَةٍ رَهِيبَةٍ وَأَنَّ الْأَمِيرَةَ هِيَ وَحْدَهَا الَّتِي كَانَتْ لَهَا الْقُدْرَةُ عَلَى تَحْرِيرِهِ مِنْ هَذَا السِّحْرِ.
تَزَوَّجَ الْأَمِيرُ الْأَمِيرَةَ بِمُوَافَقَةِ الْمَلِكِ وَوَعَدَهَا أَنْ يَأْخُذَهَا فِي الْيَوْمِ الْمُوَالِي لِمَمْلَكَتِهِ.

عَصَا يَعْقُوب

(مقتبس من حكايات الإخوة غريم)

كَانَ زَوْجٌ يَرْغَبَانِ فِي الْحُصُولِ عَلَى طِفْلٍ مُنْذُ زَمَنٍ. لَكِنْ دُونَ جَدْوَى، لِأَنَّ صِحَّةَ الزَّوْجَةِ لَمْ تَكُنْ جَيِّدَةً. حَتَّى جَاءَ يَوْمٌ رَأَتْ فِيهِ الْمَرْأَةُ فِي حَدِيقَةٍ مُجَاوِرَةٍ خُضْرَةً رَائِعَةً تُعْرَفُ بِاسْمِ عَصَا يَعْقُوبَ. رَغِبَتِ الْمَرْأَةُ الشَّابَّةُ بِقُوَّةٍ فِي الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ النَّبْتَةِ، وَهِيَ مُقْتَنِعَةٌ بِأَنَّهَا سَتُعِيدُ لَهَا صِحَّتَهَا. لَكِنَّ الْحَدِيقَةَ كَانَتْ مِلْكًا لِسَاحِرَةٍ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَجَرَّأُ عَلَى أَنْ يُغَامِرَ فِي الدُّخُولِ إِلَيْهَا.

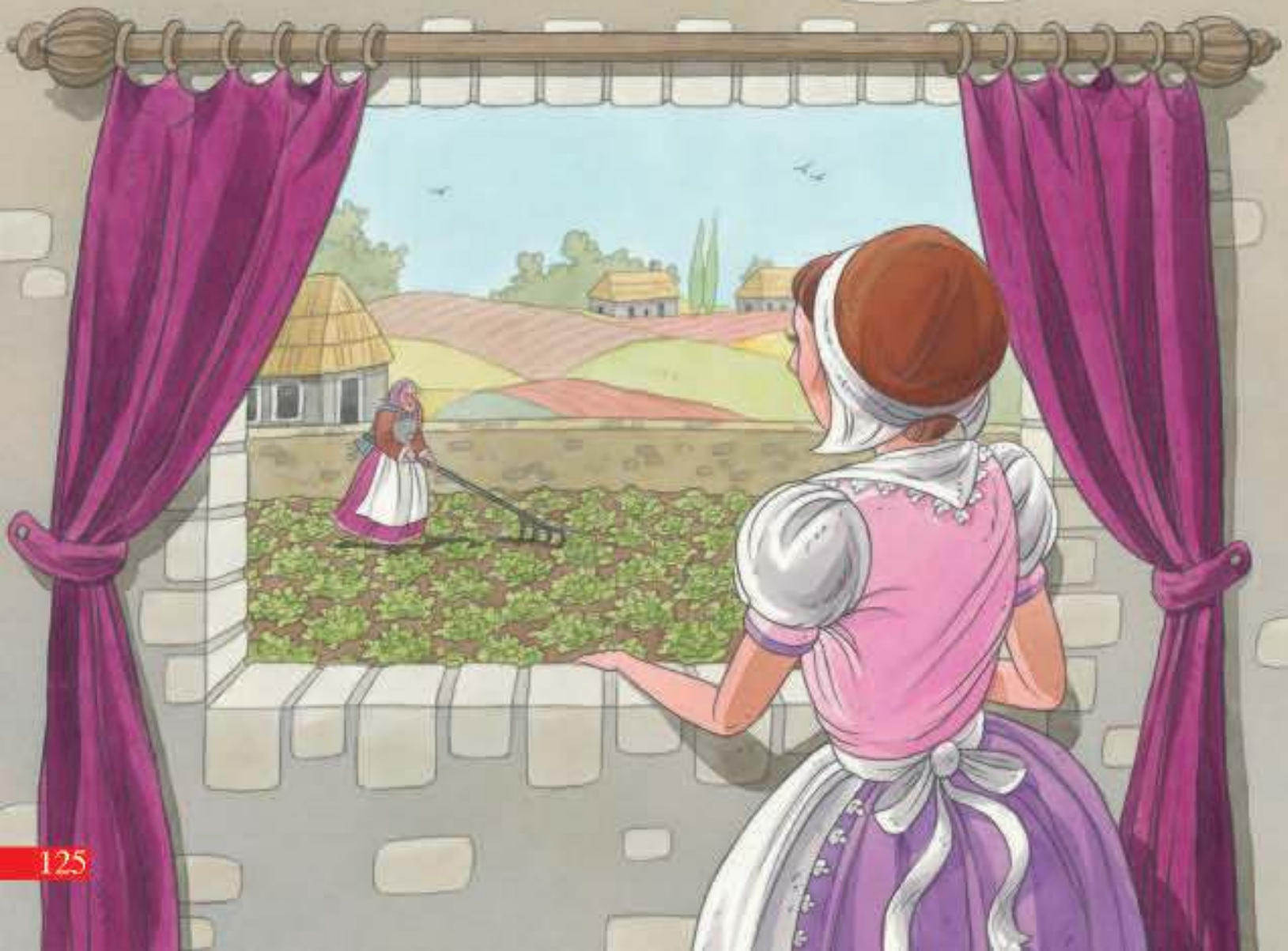

لَمْ تَتَجَرَّإِ الْمَرْأَةُ عَلَى إِخْبَارِ زَوْجِهَا بِذَلِكَ، رَغْمَ أَنَّ رَغْبَتَهَا صَارَتْ أَكْثَرَ إِلْحَاحًا. لَكِنَّهُ لَاحَظَ الْهُزَالَ وَ الشُّحُوبَ عَلَى زَوْجَتِهِ، فَسَأَلَهَا بِقَلَقٍ : « مَا الَّذِي يَجْرِي يَا عَزِيزَتِي ؟ » إِعْتَرَفَتْ لَهُ : « أَتَرَى نَبَاتَ عَصَا يَعْقُوبَ فِي الْحَدِيقَةِ الْمُجَاوِرَةِ ؟ يَجِبُ أَنْ آكُلَ مِنْهُ لِأَسْتَرْجِعَ صِحَّتِي وَ إِلَّا سَأَمُوتُ ». قَرَّرَ الزَّوْجُ، الَّذِي تَضَاعَفَتْ مَخَاوِفُهُ، أَنْ يَذْهَبَ إِلَى حَدِيقَةِ السَّاحِرَةِ فِي نَفْسِ الْمَسَاءِ لِيَجْلِبَ عَصَا يَعْقُوبَ. جَاءَ بِهَا لِزَوْجَتِهِ الَّتِي صَنَعَتْ مِنْهَا أَطْبَاقًا شَهِيَّةً الْتَهَمَتْهَا بِمُتْعَةٍ كَبِيرَةٍ. لَكِنَّ رَغْبَتَهَا فِيهَا ازْدَادَتْ. فَاضْطَرَّ الزَّوْجُ أَنْ يَعُودَ مَسَاءَ الْيَوْمِ الْمُوَالِي لِلْحَدِيقَةِ الْمُجَاوِرَةِ، لَكِنَّ هَذِهِ الْمَرَّةَ ؛ فَاجَأَتْهُ السَّاحِرَةُ غَاضِبَةً وَ قَالَتْ لَهُ : « كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَى دُخُولِ حَدِيقَتِي دُونَ إِذْنِي ؟ »

شَرَحَ الرَّجُلُ الْمِسْكِينُ : « فَعَلْتُ ذَلِكَ حُبًّا فِي زَوْجَتِي، فَإِنْ هِيَ لَمْ تَأْكُلْ مِنْ هَذِهِ النَّبْتَةِ لَا يُمْكِنُهَا أَنْ تُنْجِبَ طِفْلًا. وَ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ قَدْ تَمُوتُ ».

هَدَّأَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ غَضَبِ السَّاحِرَةِ الَّتِي قَالَتْ لَهُ : « إِذَنْ أَسْمَحُ لَكَ بِالدُّخُولِ لِأَخْذِ مَا تَشَاءُ مِنْ عَصَا يَعْقُوبَ، شَرْطَ أَنْ تُعْطِيَنِي طِفْلَكَ الْأَوَّلَ . » قَبِلَ الزَّوْجُ طَلَبَ السَّاحِرَةِ بِحَسْرَةٍ . وَفَّى الزَّوْجَانِ بِوَعْدِهِمَا بَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنْ ذَلِكَ . وَ سَلَّمَا لِلسَّاحِرَةِ مَوْلُودَهُمَا الْأَوَّلَ وَ كَانَ طِفْلَةً جَمِيلَةً . أَخَذَتْهَا السَّاحِرَةُ إِلَى بَيْتِهَا، وَ أَطْلَقَتْ عَلَيْهَا اسْمَ عَصَا يَعْقُوبَ . وَ عِنْدَمَا صَارَتْ عَصَا يَعْقُوبَ فَتَاةً حَسْنَاءَ قَرَّرَتِ السَّاحِرَةُ الْغَيُورَةُ الْمُتَسَلِّطَةُ أَنْ تُغْلِقَ عَلَيْهَا فِي بُرْجٍ حَتَّى لَا تَفْقِدَهَا وَ حَتَّى لَا يَتَسَنَّى لِأَيِّ رَجُلٍ إِغْرَاءَهَا .

كَانَ الْبُرْجُ مَعْزُولًا، بِلَا أَبْوَابٍ، لَهُ نَافِذَةٌ صَغِيرَةٌ فِي الْأَعْلَى فَقَطْ .

وَحَتَّى تَدْخُلَ الْبُرْجَ كَانَتِ الْعَجُوزُ تَطْلُبُ مِنَ الْفَتَاةِ، الَّتِي كَانَتْ تَمْلِكُ شَعْرًا ذَهَبِيَّ اللَّوْنِ طَوِيلًا جِدًّا قَائِلَةً : « عَصَا يَعْقُوبَ، يَا جَمِيلَتِي هَلْ يُمْكِنُكِ أَنْ تَفْرِدِي لِي شَعْرَكِ حَتَّى أَتَسَلَّقَهُ ؟ » وَ بَعْدَ أَنْ تُظَفِّرَ الْحَسْنَاءُ شَعْرَهَا الْجَمِيلَ تَرْبِطُهُ فِي مِعْلَاقٍ ثُمَّ تَتْرُكُهُ يَنْزِلُ إِلَى أَسْفَلِ الْبُرْجِ. وَ هَكَذَا تَتَمَكَّنُ السَّاحِرَةُ مِنَ التَّسَلُّقِ حَتَّى النَّافِذَةِ.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، كَانَ ابْنُ الْمَلِكِ مَارًّا مِنْ هُنَاكَ، وَ سَمِعَ عَصَا يَعْقُوبَ تُغَنِّي فِي قِمَّةِ الْبُرْجِ. تَوَقَّفَ مَفْتُونًا بِجَمَالِ صَوْتِهَا. كَانَ يُنْصِتُ إِلَيْهَا مُنْذُ وَقْتٍ عِنْدَ الْبُرْجِ حِينَ رَأَى السَّاحِرَةَ الْعَجُوزَ تَقْتَرِبُ. وَ كَالْعَادَةِ طَلَبَتْ مِنَ الشَّابَّةِ أَنْ تُدْلِيَ شَعْرَهَا وَ نَفَّذَتِ الْفَتَاةُ الطَّلَبَ.

شَاهَدَ الْأَمِيرُ عَصَا يَعْقُوبَ وَ هِيَ مُنْحَنِيَةٌ عَلَى حَافَّةِ النَّافِذَةِ فَسَحَرَهُ جَمَالُهَا.

بَعْدَ أَنْ رَأَى الْمَشْهَدَ، صَمَّمَ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْمَكَانِ لِرُؤْيَةِ الْفَتَاةِ الْحَسْنَاءِ وَ يُكَلِّمَهَا. قَامَ بِذَلِكَ فِي نَفْسِ الْمَسَاءِ. وَ مِنْ أَسْفَلِ الْبُرْجِ نَادَى عَصَا يَعْقُوبَ مُقَلِّدًا الْمَرْأَةَ الْعَجُوزَ، بِدُونِ رِيبَةٍ، أَطْلَقَتِ الْفَتَاةُ شَعْرَهَا وَ تَسَلَّقَ الْأَمِيرُ إِلَيْهَا. عِنْدَمَا وَقَفَ أَمَامَهَا خَافَتِ الْفَتَاةُ عِنْدَ الْوَهْلَةِ الْأُولَى ثُمَّ هَدَأَتْ عِنْدَمَا أَعْرَبَ لَهَا عَنْ إِعْجَابِهِ. وَجَدَتْهُ لَطِيفًا وَ جَمِيلًا، وَ تَحَابَّا. عَادَ الْأَمِيرُ فِي الْأُمْسِيَةِ الْمُوَالِيَةِ. وَ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ قَالَ لِعَصَا يَعْقُوبَ : « أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَكِ وَ آخُذَكِ بَعِيدًا عَنْ هُنَا، إِلَى مَمْلَكَتِي. » اِتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَعُودَ الْأَمِيرُ مَسَاءَ الْيَوْمِ الْمُوَالِي بِحِبَالٍ حَرِيرِيَّةٍ طَوِيلَةٍ سَتَخْلُفُ شَعْرَ الْفَتَاةِ عِنْدَ النُّزُولِ مِنَ الْبُرْجِ.

وَ لِسُوءِ الْحَظِّ، فِي الْيَوْمِ الْمُوَالِي قَالَتِ الشَّابَّةُ بِبَرَاءَةٍ لِلسَّاحِرَةِ حِينَ جَاءَتْ إِلَيْهَا :
« لِمَاذَا تَسْتَغْرِقِينَ كُلَّ هَذَا الْوَقْتِ لِتَتَسَلَّقِي الْبُرْجَ، بَيْنَمَا يَتَسَلَّقُهُ الْأَمِيرُ الشَّابُّ بِسُرْعَةٍ وَ خِفَّةٍ ؟ » غَضِبَتِ السَّاحِرَةُ وَ هَدَّدَتْ : « هَكَذَا إِذًا، أَنْتِ تُقَابِلِينَ شَابًّا، بَيْنَمَا مَنَعْتُكِ مِنْ رُؤْيَةِ وَ مُحَادَثَةِ أَحَدٍ. مَا دَامَ الْحَالُ هَكَذَا سَآخُذُكِ بَعِيدًا وَ لَنْ تَرَيْهِ أَبَدًا ! »
نَفَّذَتِ السَّاحِرَةُ تَهْدِيدَهَا فِي الْحَالِ، وَ وَجَدَتِ الشَّابَّةُ الْمِسْكِينَةُ نَفْسَهَا فِي بَيْتٍ بَعِيدٍ فِي مَكَانٍ خَالٍ وَ بَائِسٍ.

فِي الْمَسَاءِ اخْتَبَأَتِ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ فِي أَسْفَلِ الْبُرْجِ وَ عِنْدَمَا وَصَلَ الْأَمِيرُ مُمْتَلِئًا بِالْأَمَلِ وَ الْحُبِّ، حَامِلًا الْحِبَالَ الْحَرِيرِيَّةَ، وَجَدَ نَفْسَهُ أَمَامَ الْمَرْأَةِ الشِّرِّيرَةِ الَّتِي ضَحِكَتْ بِقَسَاوَةٍ لِدَهْشَتِهِ وَ صَاحَتْ فِي وَجْهِهِ : « لَنْ تَرَى أَبَدًا عَصَا يَعْقُوبَ، وَ أَعْمَى سَتَبْقَى ! »

مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ حُكِمَ عَلَى الشَّابِّ أَنْ يَتِيهَ بَيْنَ الْجِبَالِ وَ السُّهُولِ بَحْثًا عَنْ حَبِيبَتِهِ كَفِيفًا وَ تَعِيسًا .

وَ لَكِنْ بِقُوَّةِ الْأَمَلِ وَ الْمُثَابَرَةِ، قَادَهُ حُبُّهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ تَعِيشُ فِيهِ الْفَتَاةُ. كَانَتْ عَصَا يَعْقُوبَ تُغَنِّي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. تَعَرَّفَ عَلَى صَوْتِهَا الْجَمِيلِ وَ نَادَاهَا، خَرَجَتْ عَصَا يَعْقُوبَ مِنَ الْبَيْتِ وَ رَأَتِ الْأَمِيرَ. جَرَتْ نَحْوَهُ وَ ارْتَمَتْ فِي أَحْضَانِهِ. وَ لَامَسَتْ دُمُوعُ فَرَحِهَا عُيُونَ الشَّابِّ فَاسْتَرْجَعَ لِتَوِّهِ بَصَرَهُ. أَخَذَ الْأَمِيرُ عَصَا يَعْقُوبَ إِلَى قَصْرِهِ، وَ تَزَوَّجَا وَ عَاشَتْ كُلُّ الْمَمْلَكَةِ فِي فَرَحٍ. وَ كَانَ ذَلِكَ بِدَايَةَ قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْحُبِّ وَ السَّعَادَةِ.

البُلْبُلُ وَ الإِمْبَرَاطُورِ

(مقتبس من حكايات هانس كريستيان أندرسن)

كَانَ يَا مَا كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ إِمْبَرَاطُورٌ صِينِيٌّ يَعِيشُ فِي أَجْمَلِ قَصْرٍ فِي الدُّنْيَا. وَ كَانَتْ حَدِيقَتُهُ تَحْتَوِي عَلَى أَجْمَلِ الزُّهُورِ وَ أَغْرَبِهَا. وَ عَلَى أَحَدِ أَغْصَانِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ مُزْهِرَةٍ فِي هَذِهِ الْحَدِيقَةِ أَقَامَ بُلْبُلٌ عُشَّهُ. وَ كَانَ لِهَذَا الْبُلْبُلِ تَغْرِيدٌ عَذْبٌ، لِدَرَجَةِ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ يَسْمَعُهُ فِي الْجِوَارِ يَتَوَقَّفُ عَنِ الْعَمَلِ لِيُنْصِتَ لِشَدْوِهِ.

كَانَ الزُّوَّارُ، يَتَوافَدُونَ عَلَى مَدِينَةِ الْإِمْبَراطُورِ مِنْ كُلِّ الْأَقْطَارِ. وَيَقِفُونَ مُنْبَهِرِينَ أَمَامَ الْقَصْرِ وَ الْحَدِيقَةِ. لَكِنَّهُمْ عِنْدَمَا يَسْمَعُونَ الْبُلْبُلَ يُغَرِّدُ كَانُوا يَصِيحُونَ جَمِيعًا : « إِنَّ هَذَا لَعَجِيبٌ ! » وَ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ وَ هُمْ مَفْتُونُونَ بِتَغْرِيدِ الْعُصْفُورِ حَتَّى وَصَلَتِ الْإِشَاعَةُ إِلَى مَسَامِعِ الْإِمْبَراطُورِ فَتَمَلَّكَهُ الْغَضَبُ. قَالَ الْمَلِكُ الْعَجُوزُ : « مَا هَذَا الْبُلْبُلُ، إِنَّنِي لَا أَعْرِفُهُ، أَهُوَ مَوْجُودٌ فِي إِمْبَراطُورِيَّتِي وَ حَدِيقَتِي وَ لَمْ أَسْمَعْ عَنْهُ قَطُّ ؟ ائْتُونِي بِهِ..! »

تَمَّتْ تَحْضِيرَاتٌ غَيْرُ عَادِيَةٍ فِي الْقَصْرِ لِاسْتِقْبَالِ الْمُطْرِبِ الشَّهِيرِ. لُمِّعَتْ جُدْرَانٌ وَ مُرَبَّعَاتُ الْخَزَفِ الصِّينِيِّ بِأَشِعَّةِ مَائَةِ أَلْفِ مِصْبَاحٍ ذَهَبِيٍّ. وَ فِي الْقَاعَةِ الْكُبْرَى حَيْثُ كَانَ يَجْلِسُ الْمَلِكُ، وُضِعَ مَجْثَمٌ مِنْ ذَهَبٍ لِاسْتِقْبَالِ الْبُلْبُلِ.

تَعَلَّقَتِ الْأَبْصَارُ كُلُّهَا بِالْعُصْفُورِ الرَّمَادِيِّ الصَّغِيرِ، الَّذِي كَانَ يُغَرِّدُ بِطَرِيقَةٍ عَذْبَةٍ وَ سَاحِرَةٍ حَتَّى نَزَلَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيِّ الْإِمْبَرَاطُورِ. نَعَمْ سَالَتِ الدُّمُوعُ عَلَى خَدَّيِ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ وَ الْبُلْبُلُ يُغَرِّدُ أَعْذَبَ فَأَعْذَبَ. كَانَ شَدْوُهُ يَصِلُ أَعْمَاقَ الْقُلُوبِ، وَ نَالَ نَجَاحًا مُنْقَطِعَ النَّظِيرِ. وَ أَصْبَحَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا تَتَكَلَّمُ عَنِ الْعُصْفُورِ الْعَجِيبِ الَّذِي صَارَ لُؤْلُؤَةَ الْمَمْلَكَةِ.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ تَلَقَّى الْإِمْبَرَاطُورُ عُلْبَةً كَبِيرَةً تَحْتَوِي عَلَى بُلْبُلٍ آلِيٍّ. وَ كَانَ هَذَا الْبُلْبُلُ شَبِيهًا بِالْبُلْبُلِ الْحَقِيقِيِّ، مُغَطًّى بِالْمَاسِ وَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ وَ الْأَزْرَقِ، كَانَ جَمِيلًا جِدًّا وَ شَدِيدَ الشَّبَهِ بِالْبُلْبُلِ الْأَوَّلِ، كَمَا كَانَ جَيِّدَ التَّغْرِيدِ. إِلَى دَرَجَةِ أَنْ رَغِبَ الْجَمِيعُ فِي أَنْ يَسْمَعُوا الْاِثْنَيْنِ يُغَنِّيَانِ مَعًا. وَ هَكَذَا كَانَ. غَيْرَ أَنَّ أَدَاءَ الثُّنَائِيِّ جَاءَ نَشَازًا، لِأَنَّ الْبُلْبُلَ الْحَقِيقِيَّ كَانَ يُغَرِّدُ حَسْبَ إِلْهَامِهِ الطَّبِيعِيِّ بَيْنَمَا كَانَ الْآخَرُ مُلْتَزِمًا بِحَرَكَةِ الْآلَةِ. تُرِكَ الْعُصْفُورُ الْاِصْطِنَاعِيُّ يُغَنِّي وَحْدَهُ، وَ نَالَ نَجَاحًا مُمَاثِلًا لِلْبُلْبُلِ الْحَقِيقِيِّ، بَلْ كَانَ يَرُوقُ أَكْثَرَ لِلْعُيُونِ لِأَنَّهُ كَانَ يَلْمَعُ بِتَوَهُّجِ أَحْجَارِهِ الْكَرِيمَةِ.

وَ هَكَذَا غَنَّى ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ مَرَّةً نَفْسَ الْمَقْطَعِ بِدُونِ أَدْنَى تَعَبٍ. وَ مِنْ شِدَّةِ الْإِعْجَابِ بِهِ تَمَّ طَرْدُ الْبُلْبُلِ الْحَقِيقِيِّ، وَ نُبِذَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَ مِنَ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ كُلِّهَا. وَ أَخَذَ الْبُلْبُلُ الِاصْطِنَاعِيُّ الْمَكَانَ الشَّرَفِيَّ عَلَى مِنْضَدَةٍ صَغِيرَةٍ مُبَرْنَقَةٍ قُرْبَ سَرِيرِ الْإِمْبَرَاطُورِ.

دَامَ الْحَالُ سَنَةً، غَيْرَ أَنَّهُ فِي إِحْدَى الْأُمْسِيَاتِ بَيْنَمَا كَانَ الْعُصْفُورُ الْآلِيُّ يُغَنِّي بِأَعْذَبِ مَا لَدَيْهِ. وَ بَيْنَمَا كَانَ الْإِمْبَرَاطُورُ يُنْصِتُ لَهُ فِي سَرِيرِهِ بِمُتْعَةٍ سَمِعَ فَجْأَةً : « كْرَكْ » ثُمَّ « بْرّ- زُرُووو » ؛ كُلُّ الْحَلَقَاتِ الَّتِي كَانَ يَتَكَوَّنُ مِنْهَا انْفَلَتَتْ وَ تَوَقَّفَتِ الْمُوسِيقَى فَجْأَةً. كَانَتِ الْمِيكَانِيكَا الْجَمِيلَةُ قَدْ صَدِئَتْ. يَا لِلْحَسْرَةِ..! لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ بَعْدَهَا غِنَاءَ الْعُصْفُورِ الْآلِيِّ قَطُّ.

بَعْدَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ مِنْ ذَلِكَ، عَاشَ الْبَلَدُ أَلَمًا عَمِيقًا، كَانَ الصِّينِيُّونَ يُحِبُّونَ كَثِيرًا إِمْبَرَاطُورَهُمُ الَّذِي مَرِضَ وَ قِيلَ إِنَّهُ عَلَى وَشَكِ الْمَوْتِ. وَ حَتَّى أَنَّهُ تَمَّ تَعْيِينُ إِمْبَرَاطُورٍ جَدِيدٍ، وَ اجْتَمَعَ كُلُّ الشَّعْبِ فِي السَّاحَةِ لِمُبَايَعَتِهِ. وَ كَانَ الْإِمْبَرَاطُورُ الْمُقَالُ يَرْقُدُ شَاحِبًا وَ بَارِدًا فِي سَرِيرِهِ الْكَبِيرِ الْفَاخِرِ. كَانَ يَتَنَفَّسُ بِصُعُوبَةٍ وَ يَشْعُرُ بِالضِّيقِ وَ كَأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَمْشِي عَلَى صَدْرِهِ. فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَ رَأَى الْمَوْتَ فِي أَحْلَى زِينَتِهِ جَاءَ لِيَأْخُذَهُ.

شَعَرَ الْإِمْبَرَاطُورُ بِالْخَوْفِ الشَّدِيدِ وَ أَحَسَّ أَنَّ سَاعَتَهُ الْأَخِيرَةَ قَدْ حَانَتْ.

وَ فَجْأَةً، تَنَاهَى إِلَى سَمْعِهِ عَبْرَ النَّافِذَةِ تَغْرِيدٌ عَذْبٌ ؛ كَانَ بُلْبُلُ الْغَابَةِ الصَّغِيرُ يُغَنِّي فَوْقَ غُصْنٍ. وَ كَانَ قَدْ سَمِعَ بِمَرَضِ الْإِمْبَرَاطُورِ فَأَتَى حَامِلًا لَهُ الْأَمَلَ وَ الْمُوَاسَاةَ، وَ تَفَنَّنَ الْبُلْبُلُ الصَّغِيرُ فِي أَدَائِهِ بِأَعْذَبِ وَ أَلْطَفِ مَا يُمْكِنُ إِلَى دَرَجَةِ أَنْ زَالَتِ الرُّؤَى الَّتِي كَانَتْ تَحُومُ حَوْلَ الْإِمْبَرَاطُورِ.

وَ كَمَا لَوْ كَانَ سِحْرًا، اِسْتَرْجَعَ الشَّيْخُ قُوَاهُ بِسُرْعَةٍ وَ قَالَ : « شُكْرًا يَا عُصْفُورِي السَّمَاوِيَّ الصَّغِيرَ، لَقَدْ طَرَدْتُكَ فِي الْمَاضِي وَ مَعَ ذَلِكَ أَزَلْتَ بِغِنَائِكَ الْوُجُوهَ الْقَبِيحَةَ الَّتِي كَانَتْ تَحُومُ حَوْلَ سَرِيرِي. كَيْفَ لِي أَنْ أُكَافِئَكَ ؟! »

قَالَ الْبُلْبُلُ : « لَقَدْ سَبَقَ وَ أَنْ كَافَأْتَنِي، لَقَدْ جَعَلْتُكَ تَذْرِفُ الدُّمُوعَ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ عَنَّيْتُ لَكَ وَ كَانَتْ تِلْكَ الدُّمُوعُ بِالنِّسْبَةِ لِي لَآلِئَ وَ لَنْ أَنْسَى ذَلِكَ أَبَدًا. اِسْمَحْ لِي بِالْحُضُورِ إِلَى جَانِبِكَ مَتَى أَشَاءُ، سَأُغَنِّي لَكَ سَعَادَةَ وَ بُؤْسَ الْمُتَأَلِّمِينَ، وَ الْخَيْرَ وَ الشَّرَّ وَ كُلَّ مَا لَا تَعْرِفُهُ أَنْتَ، لِأَنَّ الْعُصْفُورَ الصَّغِيرَ يَطِيرُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَ يَرَى كُلَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَرَاهَا ؛ لَكِنْ عِدْنِي بِشَيْءٍ وَاحِدٍ : لَا تَقُلْ لِأَحَدٍ أَنَّ لَكَ عُصْفُورًا صَغِيرًا يُبَلِّغُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ، ثِقْ بِي فَذَلِكَ أَحْسَنُ ». وَ طَارَ الْبُلْبُلُ الصَّغِيرُ بَعِيدًا، وَ بَعْدَ لَحَظَاتٍ دَخَلَتِ الْحَاشِيَةُ وَ الْخَدَمُ لِيُلْقُوا آخِرَ نَظْرَةٍ عَلَى الْإِمْبَرَاطُورِ الرَّاحِلِ، لَكِنَّهُمْ وَقَفُوا مَشْدُوهِينَ عِنْدَمَا قَالَ لَهُمْ هَذَا الْأَخِيرُ بِبَسَاطَةٍ : « مَرْحَبًا ! »

السِّنْدِبَادُ الْبَحْرِيُّ

(مقتبس من حكايات ألف ليلة و ليلة)

يُنَادِينِي كُلُّ النَّاسِ بِالسِّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ، لِأَنَّنِي قَضَيْتُ تَقْرِيبًا كُلَّ حَيَاتِي فِي الْبَحْرِ. سَأَقُصُّ عَلَيْكُمْ حِكَايَتِي الطَّوِيلَةَ : « عِنْدَمَا تُوُفِّيَ وَالِدِي تَرَكَ لِي مَالًا وَفِيرًا... وَ لَكِنْ ذَهَبَ بِسُرْعَةٍ فِي الْحَفَلَاتِ وَ الْمَصَارِيفِ بِدُونِ حِسَابٍ. أَأَعِيشُ فَقِيرًا ؟ الْمَوْتُ أَهْوَنُ !

بِعْتُ الْقَلِيلَ مِمَّا تَبَقَّى مَعِي وَ شَدَدْتُ الرِّحَالَ نَحْوَ الْهِنْدِ مَعَ تُجَّارٍ آخَرِينَ.

هَبَّتْ عَاصِفَةٌ هَوْجَاءُ غَيَّرَتْ وِجْهَتَنَا. وَ رَمَتْ بِسَفِينَتِنَا فِي جَزِيرَةٍ خَالِيَةٍ ذَاتِ جَمَالٍ خَلَّابٍ. جَنَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ. وَ ذَهَبَ كُلٌّ مِنْ جِهَتِهِ يَكْتَشِفُ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ الرَّائِعَةَ. وَ لِأَنَّنِي كُنْتُ مُنْهَكًا مِنَ الْجُوعِ وَ التَّعَبِ نِمْتُ تَحْتَ شَجَرَةٍ.

عِنْدَمَا اِسْتَيْقَظْتُ بَحَثْتُ، دُونَ جَدْوَى، عَنْ رِفَاقِي. كُنْتُ أُنَادِي عَلَيْهِمْ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَ الْجَوَابُ الْوَحِيدُ الَّذِي كُنْتُ أَتَلَقَّاهُ هُوَ صَوْتُ الرِّيحِ وَ زَقْزَقَةُ الْعَصَافِيرِ.

رَكَضْتُ نَحْوَ الْخَلِيجِ الصَّغِيرِ حَيْثُ كَانَتْ سَفِينَتُنَا قَدْ رَسَتْ. ثُمَّ رَأَيْتُ فِي الْأُفُقِ نُقْطَةً صَغِيرَةً. كَانَتْ سَفِينَتُنَا بَعِيدَةً جِدًّا. لَقَدْ تُرِكْتُ فِي الْجَزِيرَةِ ! صَعَدْتُ إِلَى أَعْلَى شَجَرَةٍ عَلَى أَمَلِ أَنْ أَرَى قَرْيَةً فِي الْجِوَارِ.

لَاشَيْءَ فِي الْجِوَارِ، غَيْرَ رَبْوَةٍ كُرَوِيَّةٍ بَيْضَاءَ. تَوَجَّهْتُ نَحْوَ هَذَا الشَّيْءِ الْغَرِيبِ، كَانَ أَمْلَسَ كَالرُّخَامِ. تَسَاءَلْتُ : « مَا هَذَا الشَّيْءُ، لَيْسَ لَهُ بَابٌ وَ يَبْدُو أَجْوَفَ. لَوْ أَثْقُبُهُ بِحَجَرٍ مُسَنَّنٍ.. » لَكِنْ فَجْأَةً أَظْلَمَتِ السَّمَاءُ. رَفَعْتُ رَأْسِي مُبَاشَرَةً فَوْقِي. كَانَ يَحُومُ حَوْلِي طَائِرٌ ضَخْمٌ، كَانَ يُطَقْطِقُ مِنْقَارَهُ الرَّهِيبَ. اِنْقَضَّ الْوَحْشُ عَلَى الْأَرْضِ. وَ بِحَرَكَةٍ مِنْ أَجْنِحَتِهِ حَطَّ دُونَ أَنْ يَرَانِي عَلَى الشَّيْءِ الْأَبْيَضِ، فَهِمْتُ حِينَهَا كُلَّ شَيْءٍ فِي لَحْظَةٍ : ذَلِكَ الشَّيْءُ الْغَرِيبُ كَانَ بَيْضَةَ الطَّائِرِ الْعِمْلَاقِ ! كَانَ الْبَحَّارَةُ قَدْ حَكَوْا لِي وَ نَحْنُ عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ عَنْ طَائِرٍ عِمْلَاقٍ يُسَمُّونَهُ الرُّخَّ.

وَ قَالُوا إِنَّهُ يَتَغَذَّى عَلَى الثَّعَابِينِ. كَانَ ذَلِكَ يَبْدُو غَيْرَ قَابِلٍ لِلتَّصْدِيقِ لَكِنَّهُ الآنَ حَقِيقَةٌ !

قُلْتُ فِي نَفْسِي : « يَجِبُ أَنْ أُغَادِرَ بِأَيِّ ثَمَنٍ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ الْخَالِيَةَ. وَ سَيُسَاعِدُنِي طَائِرُ الرُّخِّ هَذَا رَغْمًا عَنْهُ ! » نَزَعْتُ حِزَامِي وَ رَبَطْتُهُ بِقَدَمِ الطَّائِرِ، وَ رَبَطْتُ الطَّرَفَ الْآخَرَ بِمِعْصَمِي وَ انْتَظَرْتُ. بَعْدَ قَلِيلٍ حَرَّكَ الطَّائِرُ جَنَاحَيْهِ وَ انْطَلَقَ فِي السَّمَاءِ وَ هُوَ يَحْمِلُنِي دُونَ أَنْ يَشْعُرَ ! كُنْتُ أَرْتَعِدُ مِنَ الْخَوْفِ. تَحْتِي أَصْبَحَتِ الْجَزِيرَةُ صَغِيرَةً جِدًّا، كُنَّا نَطِيرُ عَالِيًا جِدًّا فِي السَّمَاءِ. بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ اقْتَرَبَ طَائِرُ الرُّخِّ مِنْ كُتْلَةِ أَرْضٍ صَغِيرَةٍ ضَائِعَةٍ وَسَطَ الْبَحْرِ. كَانَتْ جَزِيرَةً تَبْدُو أَكْبَرَ مِنْ تِلْكَ الَّتِي غَادَرْنَاهَا. حَطَّ الطَّائِرُ عَلَى أَرْضِهَا، وَ بِسُرْعَةٍ فَكَكْتُ الْحِزَامَ وَ قَفَزْتُ عَلَى الْأَرْضِ دُونَ أَنْ يَرَانِي.

كَانَ يَنْظُرُ إِلَى ثُعْبَانٍ مُخِيفٍ كَانَ مُتَوَاجِدًا عِنْدَ قَدَمَيْهِ وَ كَانَ يُهَدِّدُهُ بِلِسَانِهِ ذِي الْحَدَّيْنِ. وَ شَهِدْتُ صِرَاعًا بِدُونِ شَفَقَةٍ بَيْنَ الْوَحْشَيْنِ. فِي النِّهَايَةِ طَرَحَ طَائِرُ الرُّخِّ مُنَافِسَهُ وَ مَزَّقَهُ إِرَبًا ثُمَّ طَارَ بِاتِّجَاهِ السَّمَاءِ. أَطْلَقْتُ صَرْخَةَ فَرَحٍ، لَكِنَّ هَنَائِي لَمْ يَدُمْ طَوِيلًا. كَانَتِ الْجَزِيرَةُ عُشًّا وَاسِعًا لِلثَّعَابِينِ، وَ كَانَ كُلُّ الْوَادِي يُرَدِّدُ فَحِيحَهَا الرَّهِيبَ. تَسَاءَلْتُ فِي حَسْرَةٍ : « مَا هُوَ الْأَفْضَلُ، أَنْ يَتِمَّ الْتِقَاطُكَ كَحَبَّةِ قَمْحٍ مِنْ طَرَفِ طَائِرٍ ضَخْمٍ أَمْ أَنْ تُبْتَلَعَ كَعُصْفُورِ الدُّورِي مِنْ طَرَفِ ثُعْبَانٍ مُتَوَحِّشٍ ؟ » يَجِبُ أَنْ أَجِدَ مَخْبَأً لِأُفْلِتَ مِنَ الثَّعَابِينِ، غَيْرَ بَعِيدٍ عَنِّي رَأَيْتُ كَهْفًا جَثَمْتُ فِيهِ مُنْتَظِرًا قُدُومَ اللَّيْلِ.

قُمْتُ بِاسْتِكْشَافِ عُمْقِ مَخْبَئِي، كَانَتْ تُنِيرُهُ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ. أَلْفُ شُعَاعٍ مُخْتَلِفِ الْأَلْوَانِ بَهَرَ عَيْنَيَّ. مَدَدْتُ يَدَيَّ لِأَرْفَعَ الْحِجَارَةَ الَّتِي كَانَتْ مُتَنَاثِرَةً عَلَى الْأَرْضِ: كَانَتْ أَحْجَارًا كَرِيمَةً ! بَقِيتُ هُنَاكَ صَاعِقًا حَامِلًا تِلْكَ الْكُنُوزَ بَيْنَ يَدَيَّ. وَ لَمَّا لَمْ أَعُدْ أَسْمَعُ فَحِيحَ الثُّعَابِينِ أَلْقَيْتُ نَظْرَةً فِي الْخَارِجِ. كَانَتْ تَتَسَاقَطُ مِنَ السَّمَاءِ قِطَعُ لَحْمٍ، أَجْزَاءٌ كَامِلَةٌ مِنْ ذَبَائِحِ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ. فَكَّرْتُ أَنَّنِي فِي كَابُوسٍ وَ قُلْتُ : « لَقَدْ فَقَدْتَ عَقْلَكَ يَا سِنْدِبَادُ الْمِسْكِينُ ! » بَعْدَ قَلِيلٍ رَأَيْتُ فِرْقَةً مِنَ النُّسُورِ الْكَبِيرَةِ تَنْقَضُّ عَلَى قِطَعِ اللَّحْمِ وَ تَطِيرُ بِغَنِيمَتِهَا. « عَلَى مَا يَبْدُو أَنَّ أَحَدَهُمْ رَمَى بِتِلْكَ الْقِطَعِ كَطُعْمٍ. لِمَاذَا لَا أَسْتَفِيدُ مِنَ الْفُرْصَةِ حَتَّى أَجْعَلَ النَّسْرَ يَطِيرُ بِي مِنْ هُنَا ؟ » خَرَجْتُ بِحَذَرٍ مِنْ مَخْبَئِي. كَانَتِ الثُّعَابِينُ قَدْ فَرَّتْ بِحُضُورِ النُّسُورِ. اِقْتَرَبْتُ مِنْ قِطْعَةِ بَقَرٍ وَ رَبَطْتُهَا لِظَهْرِي وَ اسْتَلْقَيْتُ عَلَى وَجْهِي. وَ كُنْتُ قَدْ قُمْتُ مُحْتَاطًا بِمَلْءِ جُيُوبِي بِالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي وَجَدْتُهَا فِي الْمَغَارَةِ. إِنْ نَجَوْتُ فَلَا بُدَّ أَنْ أَصِيرَ غَنِيًّا !

بَعْدَ قَلِيلٍ شَعَرْتُ فَوْقِي بِصَوْتٍ كَبِيرٍ لِحَرَكَةِ أَجْنِحَةٍ. قُوَّةٌ لَا تُقْهَرُ أَخَذَتْنِي إِلَى السَّمَاءِ.
كَانَ النَّسْرُ قَدْ قَبَضَ عَلَيَّ بِمَخَالِبِهِ وَ أَنَا مُخْتَبِئٌ تَحْتَ قِطْعَةِ اللَّحْمِ، وَ طَارَ فَوْقَ الْوَادِي
ثُمَّ حَطَّ عَلَى قِمَّةٍ صَخْرِيَّةٍ حَيْثُ كَانَ قَدْ بَنَى عُشَّهُ. أَرَدْتُ أَنْ أَهْرُبَ وَ لَكِنَّنِي سَمِعْتُ
صِيَاحًا تَحْتَ الْعُشِّ، فَزِعَ النَّسْرُ مِنْ تِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَ طَارَ. وَقَفْتُ وَ نَظَرْتُ لِأَرَى مَا
يُوجَدُ تَحْتَ الْعُشِّ. كَانَتْ هُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الرِّجَالِ مُسَلَّحَةٌ بِعِصِيٍّ. قَفَزْتُ
مِنَ الْعُشِّ وَ أَنَا أَصْرُخُ : « إِنَّنِي سَالِمٌ مُعَافًى ! »، « وَ مَنْ أَنْتَ ؟ » قَالَ الرَّجُلُ الْأَكْبَرُ سِنًّا
وَ الَّذِي كَانَ يَبْدُو أَنَّهُ رَئِيسُهُمْ : « كَيْفَ وَصَلْتَ إِلَى الْعُشِّ، هَلْ أَنْتَ تَاجِرٌ مِثْلُنَا ؟ »

قَصَصْتُ عَلَيْهِمْ حِكَايَتِي. « إِنَّهَا مُعْجِزَةٌ أَنْ تَكُونَ أَتَيْتَ بِالتَّدْقِيقِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، إِنَّنَا لَا نَأْتِي هَذِهِ الْجَزِيرَةَ إِلَّا مَرَّةً كُلَّ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ ؛ وَ قَدْ رَمَيْنَا بِكُلِّ قِطَعِ اللَّحْمِ الَّتِي مَعَنَا، وَ قَدِ انْتَهَى قَطْفُنَا »

سَأَلْتُ مُتَعَجِّبًا : « قَطْفُكُمْ ؟! »

ـ قَطْفُ الْمَاسِ. هَذَا الْوَادِي لَهُ جُرُوفٌ ضَيِّقَةٌ، لَا نَسْتَطِيعُ النُّزُولَ بَيْنَهَا وَ هُنَاكَ يَتَوَاجَدُ الْمَاسُ. وَ قَدْ وَجَدْنَا وَسِيلَةً جَيِّدَةً لِجَلْبِ هَذَا الْمَاسِ. نَأْخُذُ مَعَنَا كَمِّيَّةً مِنَ اللَّحْمِ وَ نَرْمِي بِهَا فِي عُمْقِ الْوَادِي، وَ عِنْدَمَا تَرَاهَا النُّسُورُ تَأْخُذُهَا إِلَى أَعْشَاشِهَا. وَ يَكُونُ هُنَاكَ دَائِمًا بَعْضُ الْمَاسِ قَدْ لَصِقَ بِاللَّحْمِ وَ لَنْ يَبْقَى لَنَا بَعْدَ ذَلِكَ سِوَى إِفْزَاعِ النُّسُورِ وَ التَّسَلُّقِ نَحْوَ أَعْشَاشِهَا لِاسْتِرْجَاعِ الْمَاسِ. لِلْأَسَفِ، الْمَاسَاتُ الْكَبِيرَةُ تَبْقَى دَائِمًا فِي عُمْقِ الْوَادِي، فَبِسَبَبِ ثِقَلِهَا تَسْقُطُ أَثْنَاءَ الطَّيَرَانِ ».

« هَذِهِ الْمَرَّةَ لَنْ تُخَيَّبَ آمَالُكُمْ ! » قُلْتُ لَهُمْ ذَلِكَ، وَ أَنَا أُخْرِجُ مِنْ جُيُوبِي الْمَاسَاتِ الَّتِي كُنْتُ قَدْ جَمَعْتُهَا. فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ أَقَمْنَا حَفْلًا لَا يُنْسَى. وَ فِي الصَّبَاحِ الْمُوَالِي أَخَذْنَا طَرِيقَ الْعَوْدَةِ. كَانَ يُمْكِنُنِي أَنْ أَبْقَى فِي بَيْتِي هَانِئًا حَتَّى آخِرِ أَيَّامِي. لَكِنَّنِي أَدْمَنْتُ الْمُغَامَرَاتِ وَ الْأَسْفَارَ الطَّوِيلَةَ. كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكْتَشِفَ بُلْدَانًا جَدِيدَةً فَرَكِبْتُ وَ قُمْتُ بِجَوْلَةٍ حَوْلَ الْعَالَمِ. وَ لَكِنْ إِنْ أَرَدْتُمْ، سَأَحْكِي لَكُمْ فِي مَرَّةٍ أُخْرَى بَقِيَّةَ مُغَامَرَاتِي...

عنزة السيد سوغان

(مقتبس من حكايات ألف ليلة و ليلة)

كَانَ يَا مَا كَانَ، شَيْخٌ لَمْ يَعْرِفِ السَّعَادَةَ قَطُّ مَعَ عَنْزَاتِهِ، لَقَدْ كَانَ يَفْقِدُهَا جَمِيعًا بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ : كُلَّ صَبَاحٍ كَانَتْ تَقْطَعُ حَبْلَهَا وَتَصْعَدُ نَحْوَ الْجَبَلِ حَيْثُ كَانَ فِي الْأَعْلَى ذِئْبٌ يَفْتَرِسُهَا، لَا مُدَاعَبَاتُ مَالِكِهَا وَ لَا الْخَوْفُ مِنَ الذِّئْبِ كَانَ يَمْنَعَانِ سُلُوكَهَا ذَاكَ. غَيْرَ أَنَّهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، وَ بَعْدَمَا فَقَدَ سِتًّا مِنْ عَنْزَاتِهِ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ، عَزَمَ السَّيِّدُ سُوغَانْ ـ كَمَا كَانَ يُسَمَّى ـ أَنْ يَشْتَرِيَ عَنْزَةً سَابِعَةً سَمَّاهَا بَلَانْكَاتْ.

لَا يُمْكِنُ تَصَوُّرُهَا كَمْ كَانَتْ جَمِيلَةً بِعَيْنَيْهَا النَّاعِسَتَيْنِ، بِعُثْنُونِهَا وَ حَوَافِرِهَا السَّوْدَاءِ اللَّامِعَةِ، وَ قَرْنَيْهَا الْمُخَطَّطَتَيْنِ، وَ شَعْرِهَا الْأَبْيَضِ الطَّوِيلِ كَأَنَّهُ رِدَاءٌ تَتَدَثَّرُ بِهِ. إِضَافَةً إِلَى أَنَّهَا طَيِّعَةٌ تُحِبُّ الْمُدَاعَبَةَ وَ تَسْمَحُ بِحَلْبِهَا دُونَ أَنْ تَتَحَرَّكَ، وَ دُونَ أَنْ تَضَعَ سَاقَهَا فِي الْإِنَاءِ. كَانَ السَّيِّدُ سُوغَانُ سَعِيدًا لِأَنَّ عَنْزَتَهُ الشَّابَّةَ لَمْ تَكُنْ تَشْعُرُ بِالْمَلَلِ. حَتَّى جَاءَ الْيَوْمُ الَّذِي قَالَتْ فِيهِ لِنَفْسِهَا وَ هِيَ تَتَطَلَّعُ إِلَى الْجَبَلِ : « كَمْ سَنَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ لَوْ نَحْنُ هُنَاكَ فِي الْأَعْلَى. أَيُّ مُتْعَةٍ فِي التَّسَكُّعِ بَيْنَ الضَّبَابِ. لَوْ لَا هَذَا الْحَبْلُ اللَّعِينُ الَّذِي يَضْغَطُ عَلَى الرَّقَبَةِ ! إِنَّهُ يَصْلُحُ لِحِمَارٍ أَوْ ثَوْرٍ يَرْعَى فِي حَظِيرَةٍ !... أَمَّا الْمَاعِزُ فَيَلْزَمُهَا الْفَضَاءُ الْفَسِيحُ. » وَ مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ، صَارَ عُشْبُ الْحَظِيرَةِ بِلَا طَعْمٍ. لَقَدْ سَكَنَهَا الْمَلَلُ. هَزُلَتْ، غَرَزَ ضَرْعُهَا، وَ كَانَ مَنْظَرُهَا يُثِيرُ الشَّفَقَةَ وَ هِيَ تَشُدُّ حَبْلَهَا كُلَّ الْيَوْمِ وَ رَأْسُهَا مُتَّجِهٌ نَحْوَ الْجَبَلِ صَائِحَةً بِحُزْنٍ : « مَعْعْعْعْ ! »

ذَاتَ صَبَاحٍ، عِنْدَمَا انْتَهَى السَّيِّدُ سُوغَانُ مِنْ حَلْبِهَا، اسْتَدَارَتِ الْعَنْزَةُ وَ قَالَتْ لَهُ فِي لُغَتِهَا الْخَاصَّةِ : « إِنَّنِي أُعَانِي عِنْدَكَ، اُتْرُكْنِي أَذْهَبُ إِلَى الْجَبَلِ.

ـ آهٍ ! يَا إِلَهِي، هِيَ أَيْضًا. صَاحَ الْعَجُوزُ مَذْهُولاً، كَيْفَ يَا بْلاَنْكَاتْ، تُرِيدِينَ مُفَارَقَتِي ؟

ـ نَعَمْ، سَيِّدُ سُوغَانْ.

ـ هَلْ يَنْقُصُكِ الْعُشْبُ هُنَا ؟ هَلْ حَبْلُكِ قَصِيرٌ ؟ هَلْ تُرِيدِينَ أَنْ أَمُدَّ فِي الْحَبْلِ ؟

ـ لَا دَاعِيَ لِذَلِكَ سَيِّدَ سُوغَانْ. أُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى الْجَبَلِ.

وَ لَكِنْ أَيَّتُهَا التَّعِيسَةُ ! أَلَا تَعْرِفِينَ أَنَّ الذِّئْبَ يُوجَدُ فِي الْجَبَلِ ؟ مَاذَا تَفْعَلِينَ عِنْدَمَا يَأْتِي ؟ سَيَهْزَأُ الذِّئْبُ تَمَامًا مِنْ قَرْنَيْكِ. اِفْتَرَسَ لِي عَنْزَاتٍ لَهَا قُرُونٌ أَقْوَى مِنْ قَرْنَيْكِ بِكَثِيرٍ. تَعْرِفِينَ جَيِّدًا، الْعَجُوزَ رِينُودْ الْمِسْكِينَةَ الَّتِي كَانَتْ هُنَا الْعَامَ الْمَاضِي ؟ عَنْزَةٌ سَيِّدَةٌ، قَاسِيَةٌ وَ قَوِيَّةٌ مِثْلَ تَيْسٍ. قَاتَلَتِ الذِّئْبَ طُولَ اللَّيْلِ... وَ عِنْدَ الصَّبَاحِ افْتَرَسَهَا.

ـ مِسْكِينَةٌ رِينُودْ، لَا يَهُمُّ يَا سَيِّدُ سُوغَانْ، أُتْرُكْنِي أَذْهَبْ إِلَى الْجَبَلِ.»

غَيْرَ أَنَّ الْعَجُوزَ خَافَ عَلَى عَنْزَتِهِ، فَأَغْلَقَ عَلَيْهَا الْبَابَ جَيِّدًا فِي إِسْطَبْلٍ مُظْلِمٍ، لِلْأَسَفِ، نَسِيَ النَّافِذَةَ، وَ لَمْ يَكَدْ يَسْتَدِيرُ حَتَّى هَرَبَتْ بِلَانْكَاتْ...

عِنْدَمَا وَصَلَتِ الْعَنْزَةُ الْبَيْضَاءُ إِلَى الْجَبَلِ، كَانَتِ الْبَهْجَةُ شَامِلَةً. لَمْ تَرَ أَشْجَارُ الصَّنَوْبَرِ الْعَتِيقَةُ طِيلَةَ عُمْرِهَا أَجْمَلَ مِنْهَا. اِسْتُقْبِلَتْ كَالْمَلِكَةِ. اِنْحَنَتْ أَشْجَارُ الْبَلُّوطِ لِتُدَاعِبَهَا بِأَطْرَافِ أَغْصَانِهَا. كُلُّ الْجَبَلِ أَقَامَ لَهَا حَفْلًا، وَ بِلَانْكَاتْ، تَتَمَرَّغُ فِي الْعُشْبِ الْأَخْضَرِ، وَ سِيقَانُهَا إِلَى الْفَضَاءِ، عَلَى طُولِ الْمُنْحَدَرِ، عَلَى مَزِيجِ الْأَوْرَاقِ الْمَيِّتَةِ وَ حَبَّاتِ الْكَسْتَنَاءِ. وَعِنْدَمَا رَأَتْ نَفْسَهَا تُقِيمُ فِي الْأَعَالِي اِعْتَقَدَتْ أَنَّهَا عَلَى الْأَقَلِّ كَبِيرَةٌ مِثْلُ الْعَالَمِ...

بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ، بَرَدَتِ الرِّيحُ. وَ صَارَ لَوْنُ الْجَبَلِ لَيْلَكِيًّا ؛ حَلَّ الْمَسَاءُ. « بِهَذِهِ السُّرْعَةِ ! » قَالَتِ الْعَنْزَةُ الصَّغِيرَةُ، وَ وَقَفَتْ مُنْدَهِشَةً جِدًّا. فِي الْأَسْفَلِ كَانَتِ الْحُقُولُ تَسْبَحُ فِي السَّدِيمِ. وَ غَابَتْ حَظِيرَةُ السَّيِّدِ سُوغَانْ فِي الضَّبَابِ، وَ لَمْ يَعُدْ يَظْهَرُ مِنَ الْبَيْتِ غَيْرُ السَّقْفِ وَ خَيْطُ دُخَانٍ. كَمَا سَمِعَتْ أَجْرَاسَ قَطِيعٍ يَعُودُ مِنَ الْمَرْعَى، وَ شَعَرَتْ بِالْكَآبَةِ.

ثُمَّ فَجْأَةً، تَعَالَتْ صَرْخَةٌ فِي الْجَبَلِ : « عُووووووو ! عُووووو ! »

فَكَّرَتْ فِي الذِّئْبِ. طِيلَةَ النَّهَارِ لَمْ تَتَذَكَّرِ الْمَجْنُونَةُ أَمْرَهُ... فِي هَذَا الْوَقْتِ جَاءَ مِنْ بَعِيدٍ صَوْتُ بُوقٍ تَعَالَى مِنَ الْوَادِي. كَانَ السَّيِّدُ سُوغَانْ الطَّيِّبُ يُحَاوِلُ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ اِسْتِعَادَتَهَا. « عُووووووو ! عُووووو ! ... رَدَّدَ الذِّئْبُ.

ـ عُودِي ! عُودِي ! ... » كَانَ يَصِيحُ الْبُوقُ.

رَغِبَتْ بَلَانْكَاتْ فِي الْعَوْدَةِ ؛ غَيْرَ أَنَّهَا كُلَّمَا تَذَكَّرَتِ الْوَتَدَ وَ الْحَبْلَ وَ سِيَاجَ الْحَظِيرَةِ، رَأَتْ أَنَّهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تُطِيقَ تِلْكَ الْحَيَاةَ، وَ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحْسَنِ أَنْ تَبْقَى. صَمَتَ الْبُوقُ...

سَمِعَتْ بَلَانْكَاتْ خَلْفَهَا صَوْتَ الْأَوْرَاقِ. الْتَفَتَتْ وَ رَأَتْ فِي الظِّلِّ أُذُنَيْنِ قَصِيرَتَيْنِ مُنْتَصِبَتَيْنِ وَ عَيْنَيْنِ تَلْمَعَانِ فِي الظَّلَامِ... كَانَ الذِّئْبُ. ضَخْمًا، سَاكِنًا، جَالِسًا عَلَى قَوَائِمِهِ الْخَلْفِيَّةِ، كَانَ هُنَا ، يَنْظُرُ إِلَى الْعَنْزَةِ الصَّغِيرَةِ الْبَيْضَاءِ وَ يَتَذَوَّقُهَا مُسْبَقًا، مَا دَامَ يَعْرِفُ جَيِّدًا بِأَنَّهُ مُفْتَرِسُهَا فِي النِّهَايَةِ، لَمْ يَكُنِ الذِّئْبُ مُسْتَعْجِلًا ؛ فَقَطْ لَمَّا الْتَفَتَتْ رَاحَ يَضْحَكُ بِوَقَاحَةٍ.

« آهٍ، آهٍ ! عَنْزَةُ السَّيِّدِ سُوغَانْ الصَّغِيرَةُ »، وَ مَرَّرَ لِسَانَهُ الْكَبِيرَ الْأَحْمَرَ عَلَى شِدْقَيْهِ الْعَرِيضَيْنِ.

أَحَسَّتْ بْلَانْكَاتْ بِالضَّيَاعِ... ثُمَّ، فَكَّرَتْ فِي الْعَنْزَةِ الْعَجُوزِ رِينُودْ الَّتِي قَاتَلَتِ الذِّئْبَ طِيلَةَ اللَّيْلِ لِيَفْتَرِسَهَا فِي الصَّبَاحِ. وَ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا :« رُبَّمَا مِنَ الْأَحْسَنِ أَنْ أَسْتَسْلِمَ لِلذِّئْبِ مِنَ الْآنَ ». غَيْرَ أَنَّهَا تَعَقَّلَتْ فِي الْحِينِ. نَزَلَتْ مُسْتَعِدَّةً لِلْقِتَالِ، الرَّأْسُ مُنْخَفِضٌ وَ الْقَرْنُ فِي الْأَمَامِ ، كَمَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ عَنْزَةٌ شُجَاعَةٌ لِلسَّيِّدِ سُوغَانْ. كَلَّا، لَمْ تَكُنْ تَأْمَلُ فِي قَتْلِ الذِّئْبِ ـ الْعَنْزُ لَا تَقْتُلُ الذِّئَابَ ـ لَكِنْ فَقَطْ لِتَرَى إِنْ كَانَتْ تَسْتَطِيعُ الدِّفَاعَ أَطْوَلَ مُدَّةٍ مُمْكِنَةٍ كَمَا رِينُودْ... وَ هَكَذَا، كَانَ الْوَحْشُ يَتَقَدَّمُ، وَ الْقَرُونُ الصَّغِيرَةُ بَدَأَتْ تَشْتَغِلُ، آهٍ ! لِلْعُنَيْزَةِ الْبَاسِلَةِ كَمْ كَانَتْ تُحَارِبُ بِإِرَادَةٍ قَوِيَّةٍ !، أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ مَرَّاتٍ أَجْبَرَتِ الذِّئْبَ عَلَى التَّرَاجُعِ لِيَسْتَرْجِعَ أَنْفَاسَهُ. وَ خِلَالَ تِلْكَ الْفُسْحَاتِ الْقَصِيرَةِ كَانَتِ الْعَنْزَةُ تَقْطِفُ رُؤُوسَ الْعُشْبِ الْغَضَّةَ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى الْقِتَالِ وَ فَمُهَا مَمْلُوءٌ...

دَامَتِ الْمَعْرَكَةُ طِيلَةَ اللَّيْلِ. بَيْنَ الْحِينِ وَ الآخَرِ كَانَتْ بْلَانْكَاتْ تَتَطَلَّعُ إِلَى النُّجُومِ وَ هِيَ تَتَرَاقَصُ فِي السَّمَاءِ الصَّافِيَةِ، وَ كَانَتْ تَقُولُ لِنَفْسِهَا : « آهٍ ! لَوْ أَسْتَطِيعُ الْمُقَاوَمَةَ حَتَّى الْفَجْرِ !... » تَوَارَتِ النُّجُومُ الْوَاحِدَةَ تِلْوَ الْأُخْرَى. ضَاعَفَتْ بْلَانْكَاتْ مِنْ ضَرَبَاتِ قَرْنَيْهَا وَ زَادَ الذِّئْبُ مِنْ ضَرَبَاتِ أَسْنَانِهِ... بَانَ نُورٌ شَاحِبٌ فِي الْأُفُقِ. صَعَدَ صِيَاحُ دِيكٍ أَبَحَّ مِنْ خُمٍّ مَا. « أَخِيرًا ! » قَالَتِ الْعَنْزَةُ الْمِسْكِينَةُ الَّتِي كَانَتْ تَنْتَظِرُ فَقَطْ بُزُوغَ الْفَجْرِ لِتَمُوتَ. تَمَدَّدَتْ عَلَى الْأَرْضِ فِي وَبَرِهَا الْأَبْيَضِ الْمُلَطَّخِ بِالدِّمَاءِ... وَ فَوْرًا انْقَضَّ الذِّئْبُ عَلَى الْعَنْزَةِ الصَّغِيرَةِ وَ أَكَلَهَا.

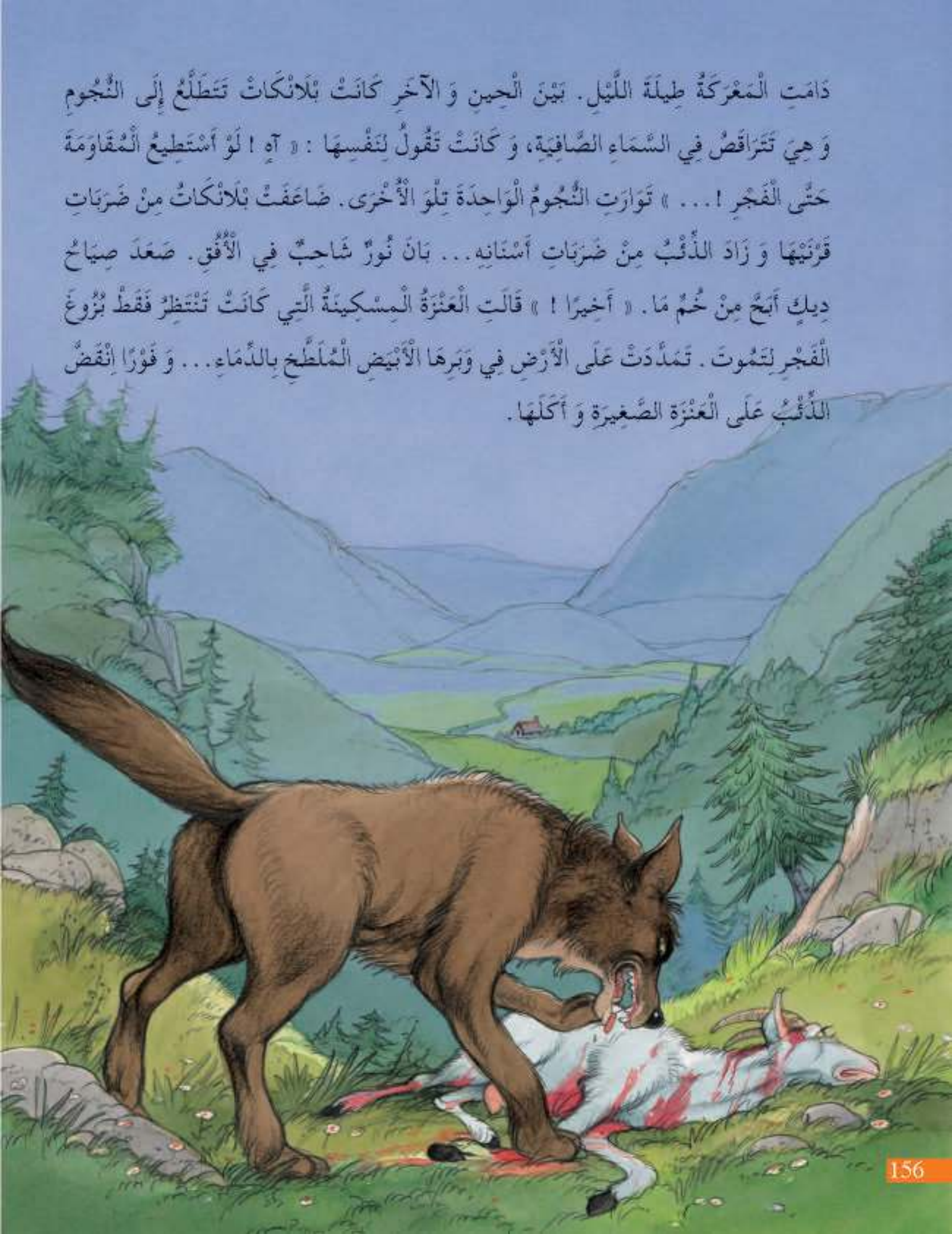

الفهـرس

1 – عَلَاءُ الدِّينِ وَ الْمِصْبَاحُ الْعَجِيبُ 5

2 – عَلِي بَابَا وَالْأَرْبَعُونَ لِصًّا 13

3 – آلِيسْ فِي بِلَادِ الْعَجَائِبِ 21

4 – الْجَمِيلَةُ وَ الْوَحْشُ 29

5 – الوَلّاعَةُ 37

6 – الْحِصَانُ الْعَجِيبُ 45

7 – الْبَجَعَاتُ الْبَرِّيَّةُ 53

8 – هَانْسَلْ وَ غْرِيتَلْ 61

9 – جَـاكْ وَ الْفَـاصُولِيَا الْعَـجِـيبَةُ 69

10 – عَازِفُ النَّايِ 77

11 – الذِّئْبُ و الجِدْيانُ السَّبْعَةُ 85

12 – جُنْدِيُّ الرَّصَاصِ الصَّغِيرُ 93

13 – بَائِعَةُ الْكِبْرِيتِ 101
14 – بِيَارْ وَالذِّئْبُ 109
15 – الْأَمِيرَةُ وَ الْعُلْجُومُ 117
16 – عَصَا يَعْقُوب 125
17 – البُلْبُلُ وَ الإِمْبْرَاطُورِ 133
18 – السِّنْدِبَادُ الْبَحْرِيُّ 141
19 – عنزة السيد سوغان 149